
النعمة والحق
11-12 Nov Dec
2026

النعمة والحق

مجلة مسيحية تصدر مرة كل شهرين

السنة الرابعة والثلاثون

نوفمبر وديسمبر ٢٠٢٦

العدد ٢٠٤

في هذا العدد

افتتاحية العدد	دراسة في سفر المزامير	١
موضوع العدد	سفر المزامير	٣
موضوع العدد	دراسة في الكتب الخمسة لسفر المزامير	٩
موضوع العدد	الكتب الخمسة في سفر المزامير	١٩
موضوع العدد	سفر المزامير: بعض الإرشادات النافعة	٣٢
الأخبار السارة	أفراح الخلاص	٥٣
دراسات مسلسلة	حياة إرميا	٥٤
تأملات هادئة	الساكن في السموات يضحك	٦٣
من روائع الكلمة	المزامير الطوباوية	٦٤

عندما نأتي إلى الرب يسوع كخطاة تائبين، يعرف الفرح طريقه إلى قلوبنا، والترنيم سبيله إلى شفاهنا

❋

اقرأ الأخبار السارة ص ٥٣

- الاشتراك السنوي (٦ أعداد) ٣٠ جنيهاً و ١٠ دولارات في الخارج (بخلاف أجرة الإرسال بالبريد). بريد إلكتروني: *gt_mag@yahoo.com*
- جميع الحوالات والمراسلات على ص.ب. ١٩٧ - رقم بريدي ١٢٣١١ - الإسكندرية. مع مراعاة وضوح الاسم والعنوان كاملاً.
- رقم الإيداع بدار الكتب ٦٤٦٢ لسنة ١٩٩٣ - النعمة والحق ت: ٤٢١٢٤١٩ - الإسكندرية (٠٣).

نوفمبر ٢٠٢٦

* دراسة في سفر المزامير
* تقسيمات المزامير وعناوينها



افتتاحية العدد

بول ألبرتس

شعرنا بأننا مدفوعون إلى تخصيص هذا العدد بأكمله تقريبًا من المجلة لتقديم نظرة عامة على سفر المزامير، ولا سيما كُتبه الخمسة. ورغم وجود الكثير الذي يُمكن التلذُّذ به في هذا السفر، فإننا نريد أن نبدأ بتذكِرة مأخوذة من هنري أ. أيرونسايد حيث كتب في مقدمة كتابه بعنوان "دراسات في الكتاب الأول من سفر المزامير" ما يلي: "عندما نقرأ المزامير، علينا أن نتذكر أنها عندما كُتِبت، لم يكن ربُّنا يسوع قد تجسَّد بعد، وبالتالي، لم يكن الفداء قد تم بعد، ولم يكن الحجاب قد انشق بعد. وإن جاز التعبير، كان اللهّ مُحتجبًا عن الإنسان، كما كان الإنسان منفصلاً عن اللهّ. وهكذا، فإن العابد في أزمنة العهد القديم كان ينطق بأمور يجب ألا ينطق بها عابد فاهم في عصر النعمة الحالي".

فقد صلّى داود قائلاً: «رُوحَكَ ٱلْقُدُّوسَ لا تَنْزِعْهُ مِنِّي» (مزمور ٥١: ١١). ولا يمكن لأي مؤمن على دراية جيدة بتعاليم الكتاب المقدس أن يصلّي هكذا اليوم، لأننا نَعلَم الآن أننا نلنا الروح القدس ليمكث فينا إلى الأبد. فإننا قد خُتمنا بالروح القدس إلى وقت فداء المُقتنى (أفسس ٤: ٣٠). كذلك، يتضمن سفر المزامير عددًا كبيرًا جدًا من الصلوات التي تشير ضمنًا إلى إله مُحتجب. لكن اللّه قد خرج اليوم إلى النور، لأن ربنا يسوع، بموته ذبيحةً على الصليب، قد شقَّ الحجاب، وفتح الطريق أمام الخطاة المساكين ليدخلوا إلى محضر اللّه، الأمر الذي مكَّن اللّه من أن يتراءى للإنسان بكلّ كمال شخصه المجيد.

يوجد البعض، ولستُ أتحدث هنا من باب الإنتقاد، الذين يتخذون من سفر المزامير مادة لصلواتهم وتسبيحهم. فلأن هذا السفر موحى به، هم يرون أنه أداة للصلاة والتسبيح أفضل بكثير من أي مجموعة من الترانيم أو الأناشيد التي كتبها بشر غير مُوحى إليهم. لكني متيقن أنه قد جانبهم الصواب في ذلك، لأن حلول الروح القدس كشف في تدبير النعمة الحالي عن حقائق كانت مجهولة تمامًا لدى الذين كانوا يعيشون في أيام كتابة المزامير. ورغم إقرارنا بكلّ ذلك، فإننا نجد في دراستنا لهذه المزامير من العهد القديم الكثير ممَّا هو ثمين ونافع جدًا لتغذية أرواحنا وإنعاشها.



سفر المـــزامـــير

موضوع العدد

ألفريد بوتيه

يُـدعَى سـفر المـزامير في بعـض الأحيـان "**قلـب الكتـاب المقـدس**". فهـو عبـارة عـن مجموعـة مذهلـة مـن ١٥٠ أصـحاحًا، تتنـاول تنوعًـا كبـيرًا مـن الموضـوعات. وقـد اسـتُخدِم المصـطلح "psalm" في الترجمـة السـبعينية، وهـي الترجمـة اليونانيـة للكتـاب المقـدس العـبري، كمكـافئ للكلمـة العبريـة mizmor الـتي معناهـا "ترنيمـة" أو "نشـيد". وقـد تُرجِمـت هـذه الكلمـة العبريـة إلى الكلمـة اليونانيـة psallos الـتي تشـير إلى الإهتـزازات الناتجـة عـن النقـر علـى وتـر آلـة موسـيقية، مثـل القيثـارة، الـتي تصـاحب إنشـاد الـنص. ويحـوي سـفر المـزامير العديد من المصطلحات الأخرى المستخدَمة في هذا السياق.

وقد وجَّه الروح القدس كيفية جمع هذه المجموعة من الترانيم. وعلى مرِّ العصور، استمد المؤمنون التعزية، والمعونة، والتشجيع من المزامير. لكن عندما ننظر إلى هذا السفر من منظور كتابي دقيق، ندرك أن العديد من المزامير متصلة بمؤمنين من اليهود، ولاسيما أولئك الذين سوف سينتمون إلى شعب اللّه الأرضي في المستقبل القريب، بعد اختطاف الكنيسة. وتصف الكثير من المزامير ضيقات وشدائد كثيرة، لأن معظم شعب إسرائيل لن يعبدوا اللّه بالحقيقة، لكنهم سيتبعون مسيًّا كاذبًا، يُعرَف عادة باسم "ضد المسيح". ومع ذلك، فإن الكثير من المؤمنين، يهودًا وأممًا على حد سواء، قد نسبوا عبر الأجيال قيمة خاصة إلى هذا السفر، وذلك بسبب التشجيعات التي تقدمها المزامير لمختلف أجيال المؤمنين، بغض النظر عن ظروفهم أو خبراتهم.

تقسيم السفر

يُذَكِّرنا تقسيم سفر المزامير إلى خمسة أجزاء بالأسفار التي تسمَّى "أسفار موسى الخمسة"، وهي سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية. يضم الكتاب الأول المزامير ١-٤١، وهو مشابه لسفر التكوين إلى حد كبير، ويُظهِر كمالات المسيَّا، وعلاقة يهوه بشعبه. أما الجزء الثاني، أو الكتاب الثاني (المزامير ٤٢-٧٢)، فهو يتناول فداء بني إسرائيل من عبودية أرض مصر، وصولاً إلى الحُكم المبارَك للملك داود، الذي يُعد مثالاً رائعًا للمسيا، يسوع أو يشوع. وهذا الجزء يوازي سفر

الخروج، وهو يحوي تفاصيل كثيرة عن آلام المسيا، الذي يتضامن مع شعبه المتألم، كما أنه يتنبأ بخلاصهم واستردادهم في المستقبل. أما الكتاب الثالث (المزامير ٧٣-٨٩)، فهو يوازي سفر اللاويين، ويركِّز على مسكن اللّه في وسط شعبه، ناظرًا إلى الماضي، ومتطلعًا أيضًا إلى سكناه المستقبلية في وسطهم. ويسلط الجزء الرابع (المزامير ٩٠-١٠٦) الضوء على خبرات بني إسرائيل في البرية، كما وردت تفصيليًّا في سفر العدد، ويبيِّن الأمانة التي اتسم بها المسيَّا. أما الكتاب الخامس (المزامير ١٠٧-١٥٠)، فهو ملخص لطرق اللّه وتعاملاته في الماضي والحاضر والمستقبل. ومن المثير للإهتمام أن سفر التثنية يُختَتَم بمجموعة من الأناشيد التي تسلِّط الضوء على بركات العالم الآتي، وهو ما يفعله بالضبط الكتاب الخامس من سفر المزامير. ومن اللافت للانتباه أن كل جزء من الأجزاء الخمسة لسفر المزامير يُختَتم بتسبِحة، تحمد اللّه وتمجده.

كل كلمة هي موحًى بها

لا يتوقف الأمر عند كون النص العبري (كل كلمة فيه) موحى به من اللّه (٢تيموثاوس ٣: ١٦)، بل إن عناوين المزامير وترتيبها أيضًا موحى بها. دعونا نتناولها إذن بإيجاز، مع التركيز على الكتاب الأول فقط من سفر المزامير، علمًا بأن معظم المخطط التالي مأخوذ من مصادر متنوعة.

المزامير ١-٨: المسيح المرفوض ملكًا على اسرائيل، لكنه يعدُّ لُملكه الكوني

- مزمور ١: الرجل التقي والأشرار
- مزمور ٢: المسيح ابن اللّه، لكنه مسيا مرفوض
- مزمور ٣: الثقة في الحفظ الإلهي: صلاة مسائية
- مزمور ٤: التماس عدل اللّه، صلاة في منتصف الليل
- مزمور ٥: الثقة باللّه عند مواجهة الأعداء: صلاة صباحية
- مزمور ٦: التماس نعمة اللّه
- مزمور ٧: التماس بر اللّه
- مزمور ٨: سلطان وسيادة ابن الإنسان

المزامير ٩-١٥: الشخص الأمين في ضيق، ينتظر خلاص اللّه

- مزمور ٩: تمجيد اللّه، ويقين الشخص الأمين
- مزمور ١٠: سمات الأشرار
- مزمور ١١: الثقة في مواجهة قوة الأشرار
- مزمور ١٢: الثقة في مواجهة غدر الأشرار
- مزمور ١٣: التماس الشخص الأمين معونة وسط ضيق شديد
- مزمور ١٤: لمحة عامة عن عالم بدون اللّه
- مزمور ١٥: رجل اللّه

المزامير ١٦-٢٤: المسيَّا

- مزمور ١٦: المسيح الإنسان في تقواه، والعبد الكامل
- مزمور ١٧: المسيح في بره
- مزمور ١٨: العبد الذي يتطلع إلى اللّه ملتمسًا خلاصه
- مزمور ١٩: شهادة اللّه الثنائية: خليقته وكلمته
- مزمور ٢٠: المسيح المرفوض، محور حياة الأمناء المتكلين به

- مزمور ٢١: المسيح المُمجَّد الآن في السماء، وعلى الأرض أيضًا فيما بعد.
- مزمور ٢٢: المسيح المصلوب، لكن الغالب أيضًا
- مزمور ٢٣: المسيح الراعي الصالح
- مزمور ٢٤: المسيح ملك المجد

المزامير ٢٥-٣٩: اختبارات الأمناء في ضيقاتهم

- مزمور ٢٥: سرُّ الرب لخائفيه
- مزمور ٢٦: ضمير نقي وصادق
- مزمور ٢٧: الإيمان، والثقة، والشعور بالأمان يوضَعون تحت الاختبار
- مزمور ٢٨: خلاص من الدينونة التي تقع على الأشرار
- مزمور ٢٩: الصوت القوي لديان هذه الأرض
- مزمور ٣٠: تأديب اللّه ونتائج هذا التأديب
- مزمور٣١: الثقة باللّه، صخرتي
- مزمور ٣٢: نعيم الغفران
- مزمور ٣٣: الفرح بسلطان اللّه
- مزمور ٣٤: إنقاذ الرب لخاصته
- مزمور ٣٥: صلاة إلى اللّه كي يتولَّى أمر أعدائه
- مزمور ٣٦: مقارنة بين الشرير ورحمة اللّه
- مزمور ٣٧: اتكل على الرب
- مزمور ٣٨: حزن اللّه على الخطية
- مزمور ٣٩: محدودية الإنسان

المزموران ٤٠-٤١: خاتمة الكتاب الأول من سفر المزامير

- مزمور ٤٠: المثابرة بالإيمان

• مزمور ٤١: النظر إلى المسكين والبائس

خلاصة القول

نقترح فيما يلي مخططًا مختصرًا يلخص سفر المزامير: يركز الكتاب الأول (المزامير ١-٤١) على العلاقة بين الرب (يهوه) وشعبه، في حين يتناول الكتاب الثاني (المزامير ٤٢-٧٢) وضعًا مختلفًا، حيث سيواجه شعب اللّه ضيقًا شديدًا، على الأغلب خارج أرض الموعد. فإن بقية من إسرائيل يجدون أنفسهم تحت حكم مسيَّا كاذب، وبعيدين عن محضر اللّه، لكن محفوظين في الوقت نفسه بنعمته. ثم يتناول الكتاب الثالث (المزامير ٧٣-٨٩) تاريخ إسرائيل، ويسلّط الضوء على الأسباط العشرة. فإنهم ليسوا مسؤولين بصورة مباشرة عن موت المسيَّا، على عكس السبطين الآخرين (يهوذا وبنيامين). ويصف الكتاب الرابع (المزامير ٩٠-١٠٦) استعادة العلاقة بالرب، عن طريق التعرُّف على المسيا الحقيقي. وأخيرًا، يتناول الكتاب الخامس (المزامير ١٠٧-١٥٠) وحدة إسرائيل، كأمة مستَرَدة إلى اللّه، ويتأمل أيضًا في سُبل اللّه، الأمر الذي يؤدي إلى تسبيحه، وإلى تقديم عبادة شاملة وعامة، وهو الأمر الناتج عن تعاملات اللّه وطرقه مع شعبه.





موضوع العدد

ستيفن كامبل

لطالما كان سفر المزامير جزءًا مُحبَّبًا من الكتاب المقدس. فهو يجسد كل جانب من جوانب الحياة، ويعبر عن مختلف المشاعر، ويكافئ كلَّ ثقة توضَع في اللّه. والأهم من ذلك أننا عندما نقرأ سفر المزامير بتمعُّن، تتجه أفكارنا صوب المسيح نفسه، المسيَّا، ومختار اللّه الممسوح.

من الواضح أيضاً أن سفر المزامير، الذي يُعَد مجموعة من القصائد الشعرية، قد رُتِّب بعناية وعن عمد. وفيما يتعلق بالجانب البشري، جُمعت المزامير من مجموعة متنوعة من الكُتّابٍ، وعلى مدار قرونٍ عدة، من أيام موسى وحتى حقبة ما بعد السبي البابلي. ومن المحتمل أن يكون الرب قد استخدم عزرا، الذي كان كاتباً ماهرًا، لجمع المزامير وترتيبها. ونعلم من

التاريخ أن سفر المزامير قد وصل بشكل أساسي إلى شكله النهائي بحلول نحو عام ٢٠٠ ق.م.، وهو الوقت الذي صدرت فيه الترجمة السبعينية، وهي الترجمة اليونانية لأسفار العهد القديم.

أما من الجانب الإلهي، فنستطيع أن نجزم بأن ترتيب المزامير موحى به من اللّه. فقد أشار الرسول بولس إلى "المزمور الثاني" في أعمال الرسل ١٣: ٣٣. وبناء على ذلك، نعلم أن أي ترتيب بشري، سواء كان قد أُجري على يد عزرا أو غيره، كان خاضعاً لإشراف الروح القدس. وعليه، فإن المزامير المئة والخمسين جميعها مرتَّبة وفقًا للترتيب الذي قصده اللّه.

وبعد تأكيد هذه الحقائق، نستطيع البدء الآن في استكشاف خمسة أقسام، أو "كتب"، أصغر داخل سفر المزامير. ربما لا تكون هذه الكتب الخمسة واضحة للوهلة الأولى، ولا سيما لأن بعض طبعات الكتاب المقدس لا تشير إلى تلك التقسيمات الفرعية؛ لكن ثمة أسباب وجيهة تدعو إلى اعتبار سفر المزامير مُقسَّمًا إلى هذه الأقسام المنفصلة. فمن الواضح تمامًا أنه قد قُصِد بعدة تسبِحات مميَّزة أن تكون بمثابة خاتمة لكل كتاب من هذه الكتب الخمسة. بالإضافة إلى ذلك، تبيِّن كتابات المعلِّمين اليهود اعتقادهم أن المزامير رُتِّبت بهذه الطريقة عن عمد، لا كي يُنظر إليها على أنها خمسة أسفار منفصلة، بل على أنها أجزاء من سفر واحد، لها موضوعات وأغراض مميَّزة. كتب أحد دارسي الكتاب المقدس

يقول إنه لا يمكن فهم سفر المزامير فهمًا صحيحًا دون وضع هذا التقسيم في الاعتبار.

وإحدى الطرق الجيدة لفهم هذه الأقسام الخمسة من سفر المزامير هي أن نلاحظ العلاقة التي تربطها بالأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، المعروفة أيضًا باسم "أسفار موسى الخمسة" أو "أسفار الشريعة". وقد أشار المعلّمون اليهود أنفسهم إلى هذه الصلة، حيث توجد صلات عديدة يمكن ملاحظتها في هذا الصدد.

الكتاب الأول: المزامير ١–٤١

يبدأ الكتاب الأول من سفر المزامير بوصف للرجل المُطوَّب الذي يجد مسرته في ناموس الرب. وفي المقابل، يواجه الأشرار دينونة ويُنذرون مثل العصافة. وليس من المبالغة أن نربط هذا بسفر التكوين، سفر البدايات. يبدأ سفر التكوين بقصة خلق الإنسان، حيث وُضع آدم وحواء في جنةٍ مثالية ورائعة، وكانا يتمتعان معاً بشركةٍ مع اللّه خالقهما ومرشدهما. وحتى قبل أن يُؤتَى بحواء إلى آدم، كان اللّه قد أوكل إليه عملاً هادفًا، وأوضح له أنه يملك الحرية أن يأكل من كل شجر الجنة، باستثناء «شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ» (تكوين ٢: ١٥-١٧). ورغم هذه الوصية الواضحة، أخفق آدم. ويخبرنا رومية ٥ أنه «بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ ٱلْخَطِيَّةُ إِلَى ٱلْعَالَمِ» (الآية ١٢) عندما أكل آدم من تلك الثمرة المحرَّمة.

لكن يُعلن رومية ٥ أيضًا أن آدم كان «مِثَالُ ٱلآتِي» (الآية ١٤). يا له من وعد عظيم! فعندما جاء المسيح، كان بالحقيقة ممثلًا لله في هذا العالم، وقد عمل دائمًا ما يُرضِي الآب الذي أرسله. فمن غيره يمكن أن يكون ذلك "الرجل المطوَّب" المذكور في المزمور الأول؟ فالمسيح وحده هو الذي يمكن أن نقول عنه إنه يُسَر مسرة حقيقية في ناموس الرب (مزمور ١: ٢)، في الوقت الذي كان محاطًا فيه بخطاة مستهزئين، كما يقول المزمور ١ أيضًا. ففي حين أخفق آدم في بيئة مثالية تتسم بالكمال، ظل الرب يسوع أمينًا حتى وهو محاط بالشر.

وفي ختام الكتاب الأول، يصف لنا المزمور ٤١ رجلاً مطوَّبًا آخر، ينظر إلى المسكين، وقد نجا من أعدائه. ومرة أخرى، ليس من الصعب ربط هذا بختام سفر التكوين، الذي يسرد لنا قصة يوسف. فقد واجه يوسف مقاومة هائلة، حيث كان رجلاً تقيًّا، مُحاطًا بأئمة من أفراد عائلته، وفي الكثير من الظروف الأخرى أيضًا. فقد تفكَّروا بأذيَّته وبيَّتوا النية لقتله (مزمور ٤١: ٧-٨)، غير أن الرب دعمه بكماله، وأقامه قدامه (الآية ١٢). كان يوسف هو ذلك الرجل التقي الذي احتمل خيانة إخوته، واستخدمه الله لتدبير الطعام للفقراء والضعفاء والمحتاجين في زمن الجوع القاسي. وإذا كان المزمور ١ يصف المسيا المطوَّب، فإن المزمور ٤١ يصف الرجل المطوَّب الذي يتوق إلى أن يكون مثله.

سيكون من الجيد أن نعلّق هنا على المعاني المتعددة للمزامير. فكثيرًا ما تكون للمزامير تطبيقات متعدِّدة، تلائم جميعها سياق الكتاب المقدس. على سبيل المثال، يتحدث المزمور ١ ليس فقط عن المسيح، لكنه يشجع أيضًا المؤمنين الأتقياء في كل العصور على أن يجدوا مسرتهم في كلمة اللّه. وبالانتقال إلى المزمور ٤١، نلاحظ أنه يعكس تجربة شخصية مر بها داود. فلا شك أنه كُتب أثناء فترة تمرد ابنه أبشالوم، في الوقت الذي تخلى فيه عنه أيضًا الذي يدعوه «رَجُلُ سَلاَمَتِي»، وهو مستشاره أخيتوفل، ورفع عليه عقبه (مزمور ٤١: ٩). وفيما بعد، اقتبس المسيح نفسه هذه الآية نفسها مُشيرًا إلى تتميمها في شخص يهوذا، الخائن الذي أكل خبزًا مع الرب، ومع ذلك أسلمه (يوحنا ١٣: ١٨). لكن في هذه النظرة العامة على الكتب الخمسة لسفر المزامير، تظهر الصلات الرائعة بين سفر التكوين وهذا الكتاب الأول من المزامير بوضوح أيضًا.

وفي الآية الأخيرة من المزمور ٤١، نجد تسبحة ختامية: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ ٱلأَزَلِ وَإِلَى ٱلأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ» (الآية ١٣).

الكتاب الثاني: المزامير ٤٢-٧٢

في أسفار موسى الخمسة، يصف سفر الخروج قصة عتق شعب اللّه. وعند النظر إلى الكتاب الثاني من سفر المزامير، نجد أنه يبدأ بمجموعة من الأناشيد، وهي المزامير ٤٢ إلى ٤٩، التي جُمِعت معًا تحت عنوان "مزامير بني قورح". تعرض هذه المزامير قصتها الخاصة عن الفداء. فالنفس

المنحنية بسبب مضايقة العدو (مزمور ٤٢: ٩-١١) سرعان ما ترى الملك العظيم آتيًا في مجدٍ وقوةٍ ليحامي عن شعبه (المزامير ٤٥-٤٨). وفي النهاية، يُدعَى جميع الشعوب (٤٩: ١) إلى أن يهابوا اللّه ويسلكوا بالبر. وهكذا، تعكس هذه المزامير نجاة إسرائيل من أرض مصر، كما تصف، من منظور نبوي، خلاص الأمة المستقبلي من الضيقة العظيمة، ودخول الملك الألفي لمسيَّاها المجيد.

ويردِّد المزمور الأخير من الكتاب الثاني صدى هذا الموضوع نفسه، حيث يشير عنوان المزمور ٧٢ إلى أنه "مزمور لسليمان"، ابن الملك داود، الذي أراد أن يملك بالبر والعدل. ومع ذلك، حين نواصل قراءة المزمور، يتَّضح لنا أنه يشير إلى الملك الحقيقي، ابن داود الأعظم. وفقط في مملكة المسيح سيشرق الصديقون بالحقيقة من «كَثْرَةُ ٱلسَّلَامِ» (الآية ٧). والمسيح وحده هو الذي سوف «يَمْلِكُ مِنَ ٱلْبَحْرِ إِلَى ٱلْبَحْرِ، وَمِنَ ٱلنَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي ٱلْأَرْضِ» (الآية ٨).

وفي الآيات الختامية للمزمور ٧٢، تأتي التسبحة الختامية للكتاب الثاني، ويُدعَى فيها القارئ مرة أخرى إلى أن يبارك الرب إله إسرائيل، الصانع العجائب وحده (الآية ١٨)! «وَلْتَمْتَلِئِ ٱلْأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ» (الآية ١٩).

الكتاب الثالث: المزامير ٧٣-٨٩

نظير الكتاب السابق من سفر المزامير، تفتتح الكتاب الثالث مجموعة مترابطة من الأناشيد. لكن في هذا القسم، نجد مجموعة مكوَّنة من أحد عشر مزمورًا لآساف (المزامير ٧٣-٨٣). كان آساف مرنمًا نشطًا في محضر الرب (١أخبار الأيام ١٥: ١٩؛ ١٦: ٣٧)، وتُركز هذه المزامير على جوانب كثيرة تتعلَّق بمسكن الرب. أولاً، وصف آساف تجربته الشخصية، قائلاً إن المسكن هو موضع الحكمة والفهم، إذ فيه يُعرَف طريق اللّه (مزمور ٧٣: ١٧؛ ٧٧: ١٣). وفي المزمور ٨٠، طلب من اللّه أن يُشرق من مسكنه «عَلَى ٱلْكَرُوبِيمِ» (الآية ١)، وهي إشارة إلى تابوت العهد وغطائه. وهذه الموضوعات وثيقة الصلة بسفر اللاويين، الذي يُعلِّم الكهنة كيف يقدمون ذبائح الرب (انظر اللاويين ١-٧)، وكيف يمارسون التمييز الروحي (انظر اللاويين ١٣-١٤). وفي سفر اللاويين أيضًا، وعد الرب بأن حضوره سيظهر «فِي ٱلسَّحَابِ ... عَلَى ٱلْغِطَاءِ» (لاويين ١٦: ٢)، مثلما أشار المزمور ٨٠.

ثم تنبأ آساف أيضًا، بصفته نبيًّا، بالخراب المُفجع الذي سيحل بالهيكل (مزمور ٧٤: ٣، ٧؛ ٧٩: ١). وبالمثل، يتضمن سفر اللاويين تحذيرات يهوه للشعب بأنهم إذا سلكوا خلافًا لطرقه، سيحل بهم الخراب (اللاويين ٢٦: ١٤-٣٩). ومع ذلك، يُختتم الكتاب الثالث بالمزمور ٨٩، الذي يحمد الرب مرارًا وتكرارًا على حقِّه (أمانته) في «جَمَاعَةِ ٱلْقِدِّيسِينَ» (الآية ٥). ومع أن المزمور

٨٩ يُختَتَم بنغمات أسى وحزن على إخفاق الشعب، وعلى تعيير أعدائهم، فإنه يظل يُذَكِّرنا بأمانة الرب وحقّه (الآيات ٣٨-٥١).

ورغم ما تقاسيه الأمة من ضيق، تأتي تسبحة في ختام الكتاب الثالث لتقول: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَى ٱلدَّهْرِ. آمِينَ فَآمِينَ» (الآية ٥٢). ويمكن أن نربط المزمور ٨٩ بالأصحاح الأخير من سفر اللاويين، الذي يصف بعض المبادئ المتعلقة بفك (افتداء) الممتلكات التي كانت قد خُصِّصت للرب. وعملية الفك (الافتداء) دائمًا ما تتطلب تكلفة إضافية، كما يشير اللاويين ٢٧، وهو ما ينطبق أيضًا على البُعد الروحي. لكن في النهاية، سيظل هناك دائمًا سببٌ يدعو إلى مباركة الرب.

الكتاب الرابع: المزامير ٩٠-١٠٦

يُرجَّح أن المزمور ٩٠، الذي يفتتح الكتاب الرابع، هو أقدم المزامير، ويحمل عنوان: «صَلَاةٌ لِمُوسَى رَجُلِ ٱللهِ». وهو صلاة نابعة من عمق الاختبار، وتُقرُّ بأن الرب باقٍ وثابتٌ رغم ضعف بني البشر. وفي حين تعقب ذلك أناشيد تسبيح عديدة، يُختتم الكتاب الرابع، في المزمور ١٠٦، باستعراض الإخفاقات المتكررة لبني إسرائيل. فمع أنهم قد أُنقِذوا من أرض مصر بيد اللّه الرفيعة عند البحر الأحمر، فإنهم «أَسْرَعُوا فَنَسُوا أَعْمَالَهُ» (الآية ١٣). وقد أنقذهم الرب مرات كثيرة، سواءً في البرية أو في أرض الموعد، لكنهم «عَصَوْهُ بِمَشُورَتِهِمْ وَٱنْحَطُّوا بِإِثْمِهِمْ» (الآية ٤٣)، ثم انتهى بهم المطاف إلى السبي بين الأمم (الآيتان ٤٦-٤٧).

تأمَّل كيف ينسجم هذا الموضوع تمامًا مع مضمون سفر العدد. فقد كان الرب أمينًا بحق تجاه الشعب عندما انطلقوا في رحلتهم نحو أرض كنعان. وعندما بلغوا حدودها، عاينوا بأنفسهم أدلةً ملموسةً على خيرات تلك الأرض، لكنهم تمردوا عليه، فحلَّ بهم الانخطاط جزاءً لإثمهم! لكن في ختام سفر العدد، نجد الشعب يسعون مجددًا إلى دخول أرض الموعد. كذلك في ختام المزمور ١٠٦، يلتمس الشعب عتقًا من السبي ورجوعًا إلى تلك الأرض عينها: «ٱجْمَعْنَا مِنْ بَيْنِ ٱلأُمَمِ، لِنَحْمَدَ ٱسْمَ قُدْسِكَ، وَنَتَفَاخَرَ بِتَسْبِيحِكَ» (الآية ٤٧).

ما أعظم أمانة الرب وصلاحه! وهنا تأتي تسبحة أخرى: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلأَزَلِ وَإِلَى ٱلأَبَدِ. وَيَقُولُ كُلُّ ٱلشَّعْبِ: «آمِينَ». هَلِّلُويَا» (الآية ٤٨). تكررت عبارة «آمِينَ وَآمِينَ» في الكتب الثلاثة السابقة من سفر المزامير. أما في الكتاب الرابع، وهو كتاب خبرات البرية، ففيه يُدعى الشعب إلى المشاركة بقول «آمين» بصوت عالٍ، تعبيرًا عن الحمد والتسبيح.

الكتاب الخامس: المزامير ١٠٧–١٥٠

بالانتقال إلى الكتاب الخامس من سفر المزامير، نجد توافقًا رائعًا بين المزمور ١٠٧ وسفر التثنية، الذي فيه أعاد موسى على مسامع شعب إسرائيل رواية كلِّ الطرق التي اقتادهم بها الرب. تصف المشاهد الافتتاحية للمزمور أولئك الذين افتداهم الرب، الذين «تَاهُوا فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فِي قَفْرٍ بِلا

طَرِيقٍ» (الآية ٤). لكنهم حين صرخوا إلى الرب، هداهم إلى طريق ليذهبوا إلى مدينة سكن (الآيتان ٦-٧). كما يعرض هذا المزمور خبرات أخرى، تتروح بين الظلم والمرض، وصولاً إلى ضيقات الحياة العاصفة. وفي وسط كل هذه الخبرات، يمكن رؤية أمانة الرب ورحمته بوضوح. وكم ينطبق هذا على شعب إسرائيل وهم يستعرضون تعاملات الرب معهم! وكم ينطبق ذلك علينا نحن أيضًا.

يضم الكتاب الخامس المزمور ١١٩، ذلك الإعلان العظيم عن قيمة كلمة اللّه. كما يحوي «ترانيم المصاعد» البالغ عددها خمسة عشر (المزامير ١٢٠-١٣٤)، والتي تتتبع خطوات النفس المتضايقة، وهي تنتقل من خيام العدو صعودًا إلى موضع الوحدة والبركة في صهيون. ولا يُختَتَم الكتاب الخامس بمجرد تسبحة موجزة، بل بخمسة مزامير (المزامير ١٤٦-١٥٠) تفيض بالبهجة، حيث تبدأ جميعها وتنتهي بالتعبير نفسه: «هللويا!» أو «سبِّحوا الرب!».

في سفر التثنية، استعرض موسى كلَّ تناقضات الشعب، لكنه مع ذلك، اختتم السفر بأصحاحين يصفان أمانة الرب من نحو كل أسباط إسرائيل. وفي سفر المزامير أيضًا، يختتم الكتاب الخامس بدعوة إلى تسبيح الرب على قوته، ونعمته، ومجده، وجلاله. ودعونا نجعل الآية الأخيرة، مزمور ١٥٠: ٦، شعارًا لنا نحن أيضًا: «كُلُّ نَسَمَةٍ فَلْتُسَبِّحِ ٱلرَّبَّ. هَلِّلُويَا!»

موضوع العدد



بيل كالكنز

يحتوي سفر المزامير على ١٥٠ مزمورًا. ويتفرد هذا السفر بكونه مقسَّمًا - بوحي إلهي - إلى خمسة كتب أصغر، وكذلك بكون مزاميره مرقَّمة بوحي إلهي (انظر أعمال الرسل ١٣: ٣٣). وقد اعتدنا القول بأن الكتاب المقدس مكوَّن من ٦٦ سفرًا، وهو قول صحيح. لكن إذا أحصينا سفر المزامير على أنه عبارة عن خمسة أسفار، وليس سفرًا واحدًا، فإن المجموع الكلّي للأسفار سيتغير حينئذ من ٦٦ إلى ٧٠ سفرًا. وهكذا، يمكننا القول بأن العهد القديم يحتوي على ٤٣ سفرًا، وليس ٣٩، إلى جانب أسفار العهد الجديد البالغ عددها ٢٧ سفرًا. ويُذكِّرنا هذا العدد الإجمالي بالسبعين نخلة في إيليم (خروج ١٥: ٢٧). فعلى غرار النخل، يمدُّنا كلُّ سفرٍ من السبعين سفرًا بحماية من لهيب الشمس، وطعام لتغذيتنا، وموضع للراحة في برِّيّة هذا العالم الروحية!

يمكن وصف المزامير الموحى بها من اللّه ببساطة بأنها صلوات شعب إسرائيل وترانيمهم المخصَّصة للعبادة والتأمل. وكانت هذه المزامير تُستخدَم طوال السنة في التأمل اليومي والتلذذ الروحي، وكذلك في المناسبات الخاصة كالأعياد. ولكي نفهم المزامير، علينا أن ندرك أنها تصف خبرات واقعية عاشها كُتَّابها، كما تعبِّر عن خبرات أمة إسرائيل، وأشخاص آخرين غير الكُتَّاب أنفسهم. ونحن نعرف أسماء الكُتَّاب البشريين لبعض المزامير، وهم داود (على الأقل ٧٣ مزمورًا)، وآساف (١٢ مزمورًا)، وبنو قورح (١١ مزمورًا)، وسليمان (مزموران)، وهيمان (مزمور واحد)، وإيثان (مزمور واحد)، وموسى (مزمور واحد). ويُطلق على داود لقب "مُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ ٱلْحُلْوِ" (٢صموئيل ٢٣: ١)، وهو ما يُذَكِّرنا بداود الحقيقي، أي ربنا يسوع المسيح. فإن الملك داود يحتل مكانة متقدِّمة، مثله مثل ربنا يسوع الذي قيل عنه: «لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ» (كولوسي ١: ١٨). وقد كُتبت المزامير على مدار فترة ٨٠٠ سنة، ابتداءً من زمن موسى (المزمور ٩٠)، نحو عام ١٤٠٠ ق.م.، وحتى فترة ما بعد السبي (المزمور ١٢٦)، بعد عام ٦٠٠ ق.م. ورغم طول هذه الفترة الزمنية، فإن المزامير تشير باتساقٍ إلى المسيح.

إننا نفهم المزامير بطرق تختلف عن خبرات الذين أوحي إليهم من اللّه لكتابتها. فإننا نلمس قلب اللّه ونحن نقرأها، كما نرى الرب يسوع المسيح ظاهرًا ومُتنبَّأً به، إذ نرى كلًّا من حالة اتضاعه على الأرض في صورة إنسان، وآلامه على الصليب، ومجده (انظر لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧، ٤٤). كذلك، نسمع فيها صوت البقية المستقبلية من إسرائيل وصرخاتهم طلبًا للانتقام (انظر رؤيا يوحنا ٦: ٩-١١؛ ٧: ١-٨).

فضـــلاً عن ذلك، نرى هنا فوائد تطبيق محتوى ســـفر المزامير على حياتنا كمؤمنين في العصـــر الحاضـــر، لكن مع مراعاة وجود بعض التعاليم في العهد الجديد التي تضع حدودًا لتلك التطبيقات. ومن أمثلة تلك الحدود صلاة داود في المزمور ٥١، التي فيها طلب من اللّه ألا ينزع منه روحه القدوس (الآية ١١). فإن هذه الصـــلاة لا تلائم مؤمني العهد الجديد، لأن روح اللّه ســـاكن فينا ســـكنى دائمة (رومية ٨: ٩). كذلك، إن الصـــراخ طلبًا للانتقام (المزمور ٥٥) غير ملائم للمؤمن في الحاضر، لأننا يجب أن نصلي لأجل الذين يضطهدوننا، ونغفر لهم، مثلما فعل ربنا على الصليب (لوقا ٢٣: ٣٤).

دعونا الآن نرى علاقة كل كتاب من كتب المزامير الخمســـة بالأســـفار الخمســـة الأولى في الكتاب المقدس (من ســـفر التكوين إلى ســـفر التثنية). يبدأ ســـفر التكوين بعبارة «في البدء» (تكوين ١: ١)، وهو يتوافق مع الكتاب الأول من سفر المزامير. ثم يُذكِّرنا ســـفر الخروج بمعنى "الخروج"، ويتوافق مع الكتاب الثاني من سفر المزامير. وهذا النمط ينطبق على الكتب الخمسة جميعها.

الكتاب الأول (المزامير ١-٤١)

يتضـمن الكتاب الأول ٤١ مزمورًا. في المزمور ١، نجد الكاتب محتجبًا عن أنظارنا؛ وهكـذا، يتجـه تركيزنا إلى ابن اللّه وحـده، حيـث نلاحظ رجلاً مطوَّبًا بســـبب ســـلوكه ومحبته لناموس الرب. فمن هو هذا الرجل؟ يمكننا تطبيق هذا المزمور على أنفسنا، لكننا ندرك أنه يشير في الحقيقة إلى الرب يسوع المسيح ومسيرة طاعته هنا على الأرض. فهو محور المزمور الأول وموضـــوعه. فكم أحب الرب يسـوع أن يصـنع مشـيئة اللّه، وهو الشـخص الوحيد الذي أطاع كل كلمة من

كلمات اللّه طاعةً كاملةً، على عكس الإنسان الأول، آدم، المذكور في تكوين ١-٣. فقد عصى آدم كلام اللّه ولم يسلك في طاعة. أما المسيح، فهو قدوتنا في كماله ومسرَّته بكلمة اللّه. فليتنا نصير مثله!

يتضمن الكتاب الأول عدة مزامير تُعرف باسم "المزامير المسيَّاوية"، لأنها تتنبأ بأمورٍ تتعلق بالمسيح. وقد وُضعت هذه المزامير لتساعدنا على التعرُّف على المسيا الحقيقي، وهو اللقب الذي معناه "الشخص الممسوح". وهو الشخص الذي سيجلس ملكًا على العرش، لكنه سيتألم أيضًا ليخلّص كلَّ من يؤمن به.

في الكتاب الأول، تُعد المزامير ٢، ٨، ١٦، ٢٢-٢٤، ٤٠-٤١ ضمن المزامير المسيانية. يُذكّرنا المزمور ٢ برفض المسيَّا (الآيات ١-٣)، وبمخطط الإنسان للتمرد على اللّه وعلى ابنه الممسوح. وفي الآية ٦ من هذا المزمور، يُدعَى المسيَّا "مَلِكِي"، ثم في الآية ٧، توصف بنوة المسيح الأزلية على أنها حق مُطلق، حيث تقول الآية: "أَنْتَ ٱبْنِي"، ثم تلي ذلك إشارة إلى تجسده في صورة إنسان: «أَنَا ٱلْيَوْمَ وَلَدْتُكَ». وأخيرًا، نوصَى بالوصية بالتالية: «قَبِّلُوا ٱلابْنَ» (الآية ١٢)، أي إننا نوصَى بأن نؤمن به.

تكوِّن بعض المزامير معًا كتلة واحدة، ومن أمثلة ذلك المزامير ٢٢ إلى ٢٤، التي فيها يوصف المسيَّا، أي الرب يسوع المسيح، بأنه "الراعي الصالح" المذكور في يوحنا ١٠: ١١ (المزمور ٢٢)، الذي بذل نفسه عن الخراف. كما يصف المزمور ٢٣ المسيح بأنه «رَاعِيَ ٱلْخِرَافِ ٱلْعَظِيمَ» المشار إليه في عبرانيين ١٣: ٢٠، الذي يُشكِّل حياة الخراف، ويقودها إلى أن تصنع مشيئته. وأخيراً، نرى الرب يسوع

«رَئِيسُ ٱلرُّعَاةِ» (١بطرس ٥: ٤) الذي يظهر في صورة «مَلِكُ ٱلْمَجْدِ» (مزمور ٢٤: ٧-١٠). كما يمكن النظر إلى هذه المجموعة من المزامير بطريقة أخرى، على أنها تشير إلى الماضي المتمثّل في صليب المخلّص (المزمور ٢٢)، والحاضر المتمثل في عصا الراعي (المزمور ٢٣)، والتتويج النبوي للملك والسيد (المزمور ٢٤).

ومن الأنماط المثيرة للاهتمام التي نلاحظها في بعض الأحيان عبر سفر المزامير هو المزامير التي تعقب المزامير المسيانية مباشرة. فعلى سبيل المثال، يُعد المزمور ٨ مزمورًا مسياويًّا يصف بأسلوب رمزي تفوُّق ربنا في المستقبل، عن طريق الإشارة إلى إخضاع اللّه كلَّ شيءٍ تحت قدميه (الآيات ٤-٨) وتمجيد اسمه (الآيتان ١، ٩)، وهو ما يتماشى مع فيلبي ٢: ٥-١١ في العهد الجديد. وبعد المزمور ٨ مباشرة، يأتي مزموران كُتِبا بأسلوب الترتيب الأبجدي (المزموران ٩-١٠). وهذا الأسلوب في الكتابة يبدأ كل آية بحرف من حروف الأبجدية العبرية، وبحسب الترتيب الأبجدي. وهذا الترتيب يشير إلى النتائج المترتبة على استعلان المسيا، والتأثير الإيجابي اللاحق لذلك. كذلك، يأتي المزمور ٢٥ عقب مجموعة المزامير المسيانية ٢٢-٢٤، وقد كُتِب بالأسلوب الأبجدي ذاته، مستخدمًا حروف الأبجدية العبرية الاثنين والعشرين. وبهذا، يكشف لنا اللّه عن كمالات ابنه، وما يترتب على ذلك. فما أعظم كلمة اللّه!

يُختتم كل كتاب من سفر المزامير ببصمة روح اللّه. ففي مزمور ٤١: ١٣ نقرأ ما يلي: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ، مِنَ ٱلأَزَلِ وَإِلَى ٱلأَبَدِ. آمِينَ فَآمِينَ». وتُلخِّص نهايات كلِّ كتاب تسبيح المفديين، والعبادة التي ينبغي أن تفيض من شفاهنا

عندما نتأمل فيه، ونتعلم المزيد عنه، ونتلذذ برؤية تعاملاته معنا التي تفيض بالنعمة والرحمة. مجدًا للرَّبُّ!

الكتاب الثاني (المزامير ٤٢-٧٢)

يتضمن الكتاب الثاني ٣١ مزمورًا، ويتماشى محتواه مع سفر الخروج، الذي يروي قصة خروج بني إسرائيل، الذين أنقذهم اللّه من فرعون ومن عبودية أرض مصر. وقد هرب بنو إسرائيل إلى البرية حيث كشف لهم اللّه ما في قلوبهم (انظر تثنية ٨: ٢). وتُنسب العديد من مزامير هذا الكتاب إلى بني قورح (المزامير ٤٢، ٤٤-٤٩). توجد أربعة مزامير أخرى في الكتاب الثالث منسوبة أيضًا إلى بني قورح (المزامير ٨٤-٨٥، ٨٧-٨٨)، وهكذا، يصبح المجموع الكلي لمزامير بني قورح ١١ مزمورًا. ومن ناحية ما، نظرًا لأن المزمور ٤٢ يستهل الكتاب الثاني من سفر المزامير، ويُنسب إلى بني قورح، فربما يجوز أن نطلق على هذا الكتاب الثاني اسم "كتاب بني قورح".

ترد قصة بني قورح في العدد ١٦: ١-٣٣؛ ٢٦: ٥-١١. فقد كانوا من سبط لاوي، وانضم إليهم في تمردهم آخرون من سبط رأوبين، ساعين إلى إزاحة القادة الذين أقامهم اللّه، وهما موسى وهارون. أما بنو قورح الذين كتبوا هذه المزامير، فلم يسيروا في خطى أبيهم المتمرد، بل اختاروا أن يتبعوا الرب وكلمته. وفي الكتاب الثاني من سفر المزامير، تتكرَّر فكرة معينة أكثر من مرة، وهي فكرة طلب اللّه وحضوره. فقد أعلن هؤلاء ولاءهم للرب! ويحثنا عبرانيين ١٠: ٢٥ على أن نكون «غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ». وبالمثل، نستطيع نحن أيضًا أن نُظهِر ولاءنا للرب بالمواظبة على حضور اجتماعات شعب اللّه.

تشكل صراعات داود فكرة بارزة أخرى في هذا الكتاب الثاني، حيث تروي المزامير ٥١-٧٠ الظروف التي أحاطت بخروج داود، وتحوي صلواته الفريدة، وتُظهِر كيف أعانه اللّه. فأولاً، كان على داود أن يعترف بخطيته (مزمور ٥١). وقد سمح اللّه لداود بأن يكتشف بنفسه، خلال أيام الرفض التي عاشها، ما في قلبه. فنحن نستمع إلى صلوات داود المرفوعة، ثم نلمس توبته القلبية، ورجوعه وتمسكه بالرب. وقد أراه اللّه طرقه العجيبة بإنقاذه من خبراته القاسية. ومثلما خرج بنو إسرائيل من قبضة فرعون ومن أرض مصر، هاربين من الاضطهاد، خرج داود من قبضة شاول، هاربًا من اضطهاده، ليجد النجاة والإنقاذ. فيا ليتنا نرى الرب في خبرات حياتنا اليومية، ونعطيه المجد والإكرام على ما صنعه من إنقاذ وخلاص!

يُعد المزمور ٦٩ مزمورًا مسيَّانياً هامًّا آخر في الكتاب الثاني من سفر المزامير. ويسلط هذا المزمور الذي كتبه داود الضوء على ما عاشه المسيح من مذلّة ورفض، ويلفت أنظارنا إلى الآلام التي قاساها المسيح على أيدي البشر الخطاة والأشرار. وهذا المزمور يؤثر في قلوبنا لنرى شخص ربنا ومخلصنا من هذا المنظور. فكم كان على أتم استعداد لإظهار محبته لنا بذهابه إلى الصليب وموته لأجل خطايانا، لئلا ندان في يوم آتٍ. وتصف كلمات هذا المزمور الكأس التي تجرعها المسيح، وشدة الألم الذي اعتصر نفسه خلال ساعات آلامه.

ويُختتم الكتاب الثاني بمزمورٍ يُنسب إلى سليمان ويحمل بصمة روح اللّه الخاصة (٧٢: ١٨-١٩): «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ ٱللهُ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ، ٱلصَّانِعُ ٱلْعَجَائِبَ وَحْدَهُ. وَمُبَارَكٌ ٱسْمُ مَجْدِهِ إِلَى ٱلدَّهْرِ، وَلْتَمْتَلِئِ ٱلأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ. آمِينَ ثُمَّ آمِينَ».

الكتاب الثالث (المزامير ٧٣-٨٩)

يتضمَّن الكتاب الثالث ١٧ مزمورًا. ومع أن عدد مزامير هذا الكتاب أقل من عدد مزامير الكتابين الأول والثاني، فإنها تحوي الكثير الذي يمكن التلذذ به والتأمل فيه. ويتوافق هذا الكتاب الثالث مع سفر اللاويين، ويشترك معه في فكرة "ودعا"، التي تشير إلى دعوة اللّه لموسى (خروج ٣: ١-٤)، وتعليمه لبني إسرائيل الطريقة الصحيحة لعبادته، وهو الغرض الذي لأجله أخرجهم اللّه من أرض مصر (انظر خروج ٥: ١-٣). يتحدث سفر اللاويين عن مختلف الذبائح والتقدمات والأعياد الخاصة، إلى جانب وظائف الكهنة، ويكشف لنا أن قصد اللّه هو أن يعبده شعبه. واليوم، نحن الذين آمنوا بالمسيح نشكِّل جزءًا من الكهنوت المقدس والملوكي، ونصير مؤهلين للعبادة (١بطرس ٢: ١-٩) وتقديم الذبائح الروحية (عبرانيين ١٣: ١٥-١٦).

يُنسب المزمور ٧٣ إلى آساف، الذي نقرأ عنه في ١أخبار الأيام ٦: ١٦، ٣١-٣٢، ٣٩-٤٠؛ ١٥: ١٧-١٩؛ ١٦: ٣٧؛ وكذلك في ٢أخبار الأيام ٢٩: ٣٠. كان آساف من سبط لاوي. وقد كان، من ناحية، بمثابة المساعد الرئيسي لداود في العبادة، واقترن اسمه باسم داود في مهمة كتابة المزامير التي أمر حزقيا الملك بإنشادها عند استعادة العبادة في الهيكل (انظر ٢أخبار الأيام ٢٩: ٣٠). يُنسَب إلى آساف ١٢ مزمورًا (المزامير ٥٠، ٧٣-٨٣). وبالنظر إلى الأحد عشر مزمورًا التي تفتتح الكتاب الثالث من سفر المزامير، وتشكِّل جزءًا كبيرًا منه، يصح أن نطلق على هذا القسم "كتاب آساف".

يتناول المزمور ٧٣ موضوع مقارنة أنفسنا بالآخرين. فإننا نرى الأثمة ينجحون ويزدهرون، ولا نفهم لماذا يحدث ذلك. لكن فقط عندما ندخل إلى مقادس اللّه (الآية ١٧)، نكتسب فهمًا لطرق اللّه. فنتعلّم أن نرى الأمور كما يراها اللّه. وهذا يمدُّنا بالتشجيع. وتدعونا الآيات ٢٥، ٢٦، ٢٨ من هذا المزمور إلى أن نقدِّر قيمة الرب، لأنه هو الوحيد الذي يجب أن نشتهيه. فهو محور اهتمامنا، ونصيب شعب اللّه هو عبادة اللّه وحده دون سواه. ليتنا نتحرر إذن من مقارنة أنفسنا بالآخرين، ومن الرغبة الطبيعية في إيجاد فرحنا في هذا العالم بعيدًا عن الرب. وليتنا في المقابل نجد شبعنا وكفايتنا فيه، ناظرين إلى «رَئِيسِ ٱلإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ» (عبرانيين ١٢: ٢).

تُنسب كلُّ مزامير الكتاب الثالث إلى شخصٍ ما من سبط لاوي، باستثناء مزمور واحد، وهو المزمور ٨٦، الذي هو صلاة تُنسَب إلى داود، الذي كان من سبط يهوذا. وهذا أمرٌ جدير بالملاحظة، لأنه يربط داود بالذين ينتمون إلى كهنوت سبط لاوي. وهنا نرى داود مرة أخرى مثالًا لربنا يسوع. فكل من الرب يسوع وداود كان من سبط يهوذا، ومع ذلك، فإنهما رُبِطا بسبط لاوي وبقيادة العبادة والتسبيح. فالرب يسوع هو "إمام المُغنّين" بالنسبة لنا، والمسيح هو رئيس كهنتنا الأعظم على رتبة ملكي صادق (عبرانيين ٥-٧)، وهو فائق في تفرُّده.

تمثِّل المزامير ٨٤ إلى ٨٩ مجموعة إضافية من المزامير، بخلاف مزامير آساف، وهي تركز على العبادة وتمجيد اللّه. وتشمل هذه المزامير ما نُسِب منها إلى بني قورح (٨٤-٨٥، ٨٧-٨٨)، وداود (٨٦)، وإيثان (٨٩). ليتنا نتذكَّر كلمات ربنا في يوحنا ٤: ٢٤، الذي قال: «ٱللهُ رُوحٌ. وَٱلَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَٱلْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا».

يُنسب المزمور الأخير في الكتاب الثالث، وهو المزمور ٨٩، إلى إيثان الأزراحي، وهو من سبط لاوي (١أخبار الأيام ٢: ٦). كان إيثان ابنًا لزارح، وكان له أربعة إخوة آخرون، وقد وُصِف بأنه "رجل حكيم، لكن ليس بقدر حكمة سليمان" (١الملوك ٤: ٣٠-٣١). وكما جرت العادة في الكتب السابقة، اختتم روح اللّه الكتاب الثالث من سفر المزامير بعبارة: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَى ٱلدَّهْرِ. آمِينَ فَآمِينَ» (الآية ٥٢).

الكتاب الرابع (المزامير ٩٠-١٠٦)

على غرار الكتاب الثالث، يحتوي الكتاب الرابع على ١٧ مزمورًا. ويتوافق هذا القسم مع سفر العدد، حيث يتناول تجوال وتيهان شعب اللّه في البرية، التي هي مثال للعالم. ففي الفترة ما بين خلاص إسرائيل من العبودية في أرض مصر، ودخولهم أرض الموعد، حفظهم اللّه وأعالهم في البرية. ورغم خلو البرية من مقومات الحياة، كان اللّه هو العائل الذي أعطاهم المن من السماء والماء من الصخرة (انظر ١كورنثوس ١٠: ١-١١). ونحن اليوم مثلهم تمامًا، لأن الرب وحده هو القادر أن يلبّي احتياجاتنا الروحية في هذا العالم المقفر روحيًّا.

المزمور ٩٠، وهو أقدم المزامير، يفتتح الكتاب الرابع، ويُنسب إلى موسى رجل اللّه. فقد شهد موسى الكثير من الشر والأسى والحزن خلال سنوات تيه بني إسرائيل في البرية. وواحدة من السمات الرئيسية لهذا المزمور هي وصف موسى بالشفيع، لأنه صلى نيابة عن شعب اللّه ولأجلهم. وفي هذا الصدد، يُعَد موسى مثالًا لربنا يسوع المسيح، الذي «يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى ٱلتَّمَامِ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى ٱللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ» (عبرانيين ٧: ٢٥). وليتنا نقتدي بهذين المثالين ونكون نحن أيضًا شفعاء (١تيموثاوس ٢: ١).

تتمحور المزامير المتبقية في الكتاب الرابع في غالبيتها حول عناية اللّه بشعبه، وتقديم التسبيح والشكر له على نعمته ورحمته اللتين حفظاهم. وكل هذه المزامير تقريبًا كتبها أشخاص مجهولو الهوية، وفقط المزموران ١٠١، ١٠٣ يُنسَبان إلى داود. وبنسب مزمورين إلى داود، مقابل مزمور واحد فقط إلى موسى في الكتاب الرابع. نجد أن مكانة مكانة بارزة ومتقدمة تُنسَب إلى داود الحقيقي، أي الرب يسوع، فوق الآخرين جميعهم. فإن اللّه قد استخدم موسى ليوجهنا إلى المسيح، الذي هو خبز الحياة النازل من السماء (انظر يوحنا ٦: ٣٠-٣٥).

في مزمور ١٠٦: ٤٨، تختتم بصمة روح اللّه هذا الكتاب الرابع: «مُبَارَكٌ ٱلرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ مِنَ ٱلأَزَلِ وَإِلَى ٱلأَبَدِ. وَيَقُولُ كُلُّ ٱلشَّعْبِ: «آمِينَ». هَلِّلُويَا».

الكتاب الخامس (المزامير ١٠٧-١٥٠)

يحتوي الكتاب الخامس على ٤٤ مزمورًا، ويتوافق مع سفر التثنية. فهو متصل بفكرة «هَذِهِ هِيَ كَلِمَاتُ» (تثنية ٢٩: ١). حيث شرح موسى شريعة اللّه بكل تطبيقاتها وظروفها. وقد كان هذا السفر هو الذي يُسلَّم

إلى الملك لكي يصنع لنفسه نسخة منه، ويتعلم منه كيف يحكم شعب اللّه (تثنية ١٧: ١٨-٢٠). فقد كان سفر التثنية يمثل الكلمة الأخيرة للشريعة التي أعطاها اللّه لشعبه. وبناءً على ذلك، يُعد الكتاب الخامس بمثابة كلمات التسبيح الأخيرة الموجَّهة إلى اللّه من شعبه.

يفتتح المزمور ١٠٧ هذا الكتاب، ويظل كاتبه مجهول الهوية. وهذا مماثل للكتاب الأول والمزمور ١. يعبِّر هذا المزمور عن توقٍ إلى تقديم الشكر للرب (١٠٧:

١) لأجل شخصه، ثم يليه تسبيح وحمد لأجل ما صنعه الرب (الآيات ٨، ١٥، ٢١، ٣١). وعلينا نحن أيضًا أن نكون شاكرين على هذين الأمرين عينهما. فإن معرفة مدى عظمة الرب، وتذكُّر عنايته المذهلة بنا وحفظه لنا هما أمران كفيلان بأن يجعلا ألسنتنا تفيض بالتسبيح والشكر.

يحتوي الكتاب الخامس أيضًا على عدة مجموعات من المزامير. تُعرف المزامير ١١٣-١١٨ باسم "الهللويا"، وهي متصلة بنجاة شعب إسرائيل من أرض مصر، وكانت ترتَّم خلال الأعياد السنوية المخصصة ليهوه. وربما رتلها الرب يسوع مع تلاميذه في عيد الفصح (متى ٢٦: ٣٠) قبل القبض عليه مباشرة. وفي هذه المزامير نقرأ عن الرب الكلمات التالية: «ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي رَفَضَهُ ٱلْبَنَّاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَ ٱلزَّاوِيَةِ» (مزمور ١١٨: ٢٢).

كما تُمثل المزامير ١٢٠ إلى ١٣٤ مجموعة أخرى يُطلق عليها "ترانيم المصاعد". كانت هذه المزامير تُرتَّل أثناء الارتحال إلى أورشليم للاحتفال بالأعياد الكبرى الثلاثة (عيد الفصح، وعيد الخمسين، وعيد المظال). ويفترض بعض معلّمي الكتاب المقدس أن هذه المزامير الخمسة عشر كانت تُرتَّل مزمورًا مزمورًا عند صعود كل درجة من درجات مدخل ساحة الهيكل في أورشليم، التي كان عددها خمس عشرة درجة. وحتى إذا كان هذا غير صحيح، فإن هذه المزامير تُسلط الضوء على فكرة أننا يجب أن نكون شعبًا مُسبِّحًا طوال رحلتنا لنكون مع الرب حيث يكون هو!

يجدر بنا أن نلاحظ مجموعة أخيرة من المزامير، وهي المزامير ١٤٦ إلى ١٥٠. تُعرَف هذه المزامير الخمسة باسم "مزامير الهللويا". وما أروع أن يُختَتَم الكتاب الأخير

من سفر المزامير بنغمات تصاعدية من التسبيح! فكل مزمور منها يبدأ وينتهي بعبارة «سبِّحوا الرب!» وتُشكِّل هذه الكلمات البصمة الأخيرة لروح اللّه، التي تشير ليس فقط إلى نهاية الكتاب الخامس، بل إلى نهاية الكتب الخمسة جميعها.

يجب أن نلاحظ أيضًا وجود مزمورين مسيَّاويين في الكتاب الخامس. فقد اقتُبِس المزمور ١١٠ في العهد الجديد، وهو متصل بالرب يسوع (متى ٢٢: ٤٤؛ عبرانيين ٥: ٦، ١٠؛ ٦: ٢٠). وهذا المزمور المسيَّاوي يعقبه مباشرة مزمورات مرتَّبان أبجديًّا، وهما المزموران ١١١، ١١٢. والمزمور المسيَّاوي الآخر، وهو المزمور ١١٨، يعقبه أيضًا مزمورٌ مرتَّب أبجديًّا، وهو المزمور ١١٩. وما أروع أن نرى يد اللّه في ترتيب هذه المزامير! فكما هو الحال في الكتاب الأول، يحوي الكتاب الخامس مزمورين مسيَّاويين تعقبهما مباشرةً مزامير مرتَّبة أبجديًّا. وكما حدث قبلاً بالضبط، يأتي أول مزمور مسيَّاوي متبوعًا بمزمورين مرتبين أبجديًّا، بينما يُتبَع المزمور المسيَّاوي الثاني بمزمور واحد فقط مرتَّب أبجديًّا. ويبدو أن هذا الترتيب يبرز ما سيعقب رؤية الرب، والأثر الذي سيترتب على رؤيتنا له في المزامير المسيَّاوية.

الخاتمة

لم يتطرق هذا المقال سوى إلى أجزاء بسيطة من هذا الموضوع، دون أن يتعمَّق فيه. فليت اللّه يشجعنا على التعمق أكثر في هذا الموضوع، والتلذُّذ بكمال كلمة اللّه. ونختتم كلامنا هنا باقتباس من مزمور ١١٩: ١٠٥، «سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي». فإن كلمة اللّه تكشف لنا أين نحن وإلى أين ينبغي أن نذهب. ليباركم الرب!

موضوع العدد



أرنو جيبلين



"مع أن جميع الأسفار المقدَّسة تفيض بنعمة اللّه، فإن سفر المزامير هو الأعذب بينها جميعًا". هذه شهادة قديمة من أمبروسيوس. قال مارتن لوثر أيضًا: "**يصح أن نطلق على سفر المزامير كتابًا مقدسًا مصغرًا**". ويمكننا إضافة المئات من الشهادات المماثلة. فقد كانت المزامير من الأجزاء المفضلة من كلمة اللّه لدى جميع القديسين، يهودًا ومسيحيين على حد سواء.

كان اليهود القدماء يستخدمون المزامير للعبادة في الهيكل. وكانت مجموعة المزامير المعروفة باسم "الهللويا"، وهي المزامير ١١٣ إلى ١١٨، ترتَّل خلال الاحتفال بعيد الفصح، وعيد الخمسين، وعيد المظال.

وبشكل يومي في الهيكل، كانت المزامير تُرتَّل بترتيبٍ مُحدَّد. ولا يزال اليهود يستخدمونها حتى الآن في كلِّ أعيادهم وفي المجمع أيضًا.

تُربَط المزامير أيضًا بالتسبيح في العهد الجديد (كولوسي ٣: ١٦؛ يعقوب ٥: ١٣). فقد استخدمتها الكنيسة، منذ نشأتها، في العبادة الجماعية والفردية. كذلك، يستخدم الأفراد المزامير، إذ يجد القلب في تلك الترانيم والصلوات انعكاسًا لمختلف خبرات الحياة البشرية ومشاعرها. فإن المتألم الغارق في الحزن يجد في هذا السفر خبرات مماثلة لحالته، بل وأكثر، حيث يجد تشجيعًا على الإتكال على اللّه والتحلي باليقين في النجاة. كذلك، النفس التائبة تجد ما يتوافق مع قلبها المنكسر والمنسحق. والشخص الذي يشعر بالوحدة، والعجز، والتخلي، يقرأ في هذا السفر عن آخرين مروا بالخبرة عينها، فيجد في ذلك تعزية، وفرحًا، وسلامًا، ورجاءً. وهكذا، فإن سفر المزامير يعزز الإيمان والثقة بالرب، ويبث روح عبادة تملأ قلب المؤمن بالمهابة والحمد.

الرب يسوع والمزامير

ثمة سبب آخر يدفع المؤمنين إلى أن يحبوا سفر المزامير، وهو أن الرب يسوع ليس فقط ظاهرًا في هذا السفر كما لم يظهر في أي موضع آخر، لكنه أيضًا استخدم المزامير طوال حياته المبارَكة على الأرض، بل وفي مجده أيضًا. فإننا نرى في السفر صلواته الخاصة مكتوبة مسبقًا بواسطة روح اللّه، حيث تصف التعبيرات عن الحزن، والشعور بالوحدة،

والـرفض والألم مـا مـرَّ هـو نفسـه بـه في مسـيرة اتضـاعه. كـذلك، التسـبيح والعبـادة والثقـة بـاللّه هـي أمـور تعكـس، بصـورة نبويـة، حيـاة الطاعـة والاتكـال علـى اللّه الـتي عاشـها. ونحـن نـؤمن أنـه عنـدما كـان يقضـي الليـالي في الصـلاة سـاكبًا قلبـه أمـام أبيـه، سـواء علـى الجبـل أو في البريـة، فإنـه ربمـا كـان يفعـل ذلـك مسـتخدمًا المـزامير. فقـد اسـتخدم المـزامير في حديثـه مـع تلاميـذه، كمـا أفحـم أعـداءه باستشـهاده بـالمزمور ١١٠. كـذلك، مـا حـدث في جثسـيماني ذُكِـر في المـزامير: وفي آلام يسـوع على الصـليب، تـم كـل مـا تنبـأت بـه المـزامير. وعنـد قيامـة يسـوع أيضًـا، اسـتخدم الفكـرة المقدَّمـة في مزمـور ٢٢: ٣١ عنـدما قـال: «اِذْهَبَـا قُـولا لإِخْـوَتِي» (متى ٢٨: ١٠). وقـد فـتح أذهـان تلاميـذه ليفهمـوا مـا في الكتـب موضـحاً «أَنَّـهُ لا بُـدَّ أَنْ يَـتِمَّ جَمِيـعُ مَـا هُـوَ مَكْتُـوبٌ عَنِّـي فِـي نَـامُوسِ مُوسَـى وَٱلأَنْبِيَـاءِ وَٱلْمَـزَامِيرِ» (لوقـا ٢٤: ٤٤). وقـد قـال قبـل ذلـك لتلميـذي عمـواس: «أَمَـا كَـانَ يَنْبَغِـي أَنَّ ٱلْمَسِـيحَ يَتَـأَلَّمُ بِهَـذَا وَيَـدْخُلُ إِلَـى مَجْـدِهِ؟ ثُـمَّ ٱبْتَـدَأَ مِـنْ مُوسَـى وَمِـنْ جَمِيـعِ ٱلأَنْبِيَـاءِ يُفَسِّـرُ لَهُمَـا ٱلأُمُـورَ ٱلْمُخْتَصَّـةَ بِهِ فِي جَمِيعِ ٱلْكُتُبِ» (لوقا ٢٤: ٢٦-٢٧).

وعنـدما صـعد إلى العـلاء وجلـس عـن يمـين اللّه، ورحَّـب بـه اللّه لـيجلس ويكـون كاهنًـا علـى رتبـة ملكـي صـادق، كـان ذلـك بحسـب مزمـور ١١٠: ٤. وفي رسـائله الـتي وجههـا مـن عرشـه إلى الكنـائس، اسـتخدم المـزامير أيضًـا (رؤيـا ٢: ٢٧). وعنـد مجيئـه ثانيـة، سـيترنم كـلٌّ مـن السـماء والأرض

بهتاف ''هللويا'' الوارد في ختام هذا السفر. وسيتحقق كل المجد الذي سبق فتنبأت به المزامير.

لهذا السبب، حريٌّ بهذا السفر أن يكون عزيزًا وثمينًا في أعيننا، لأنه كان ثمينًا في عينيه، وهو يعلن شخصه لقلوبنا. كما أن روح اللّه يقتبس سفر المزامير في الرسائل أكثر من أي سفر آخر من أسفار العهد القديم.

جمع المزامير وترتيبها في صورتها الحالية

إن الكُتَّاب المعروفين للمزامير هم داود، وآساف، وبنو قورح، وموسى، وهيمان، وإيثان. وإذا أخذنا في الاعتبار أن بعض المزامير الأخرى كُتبت خلال فترة السبي، فسندرك أن قرون عدة تفصل بين كُتاب المزامير. فقد كانت المزامير بحوزة شعب إسرائيل في صورة غير مُجمَّعة، بل إنها كانت مبعثرة إن جاز التعبير، حتى قام شخص ما في وقت ما بجمعها في سفر واحد بالصورة التي بين أيدينا اليوم.

ولا نعرف على وجه الدقة من قام بهذا الدور الرائع من جمع المزامير وترتيبها، حيث لم يُكشَف عن هويته، لكن يمكننا أن نقول في يقين إن القديس العبراني الذي فعل ذلك قد دُعي من روح اللّه ليؤدي هذا العمل، وإن ترتيب هذه المزامير في السفر بالصورة التي لدينا الآن هو العمل الكامل للروح القدس.

نصطدم هنا بالنقاد الذين يتحدثون عن "محرِّرين مختلفين قاموا بالترتيب وإعادة الترتيب للسفر في مناسبات مختلفة". فهم يزعمون، على سبيل المثال، أن العبارة الواردة في ختام المزمور ٧٢، وهي «تَمَّتْ صَلَوَاتُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى» ليست في محلها، لأن مزامير أخرى لداود تأتي بعد ذلك، مرجحين أن يكون ذلك عمل أحد المحررين. غير أن العبارة التي تأتي في ختام المزمور ٧٢ تحمل معنى مختلفًا، إذ يعلن المزمور عن أمجاد الملكوت الآتي لذاك الذي هو أعظم من سليمان. وإذ حصل داود على لمحة من ذلك المجد، قال: "تمت صلوات داود، أي صلواتي، إذ ليس لدي ما يمكن أن أطلبه أعظم مما يعلنه هذا المزمور".

ففي واقع الأمر، ما قام به ذلك الجامع المجهول للمزامير يبيِّن أنه عمل شخصٍ واحدٍ منقاد بروح الله. لنفترض أن لدينا سلة تحتوي على ١٥٠ حجرًا كريمًا، مثل الألماس والياقوت الأحمر والياقوت الأزرق والزُمرد واللآلئ، وأننا أخذنا هذه السلة إلى صائغٍ وطلبنا منه ترتيب هذه الأحجار في صورة قلادة، فكيف سيفعل ذلك؟ هل سيأخذ حجرًا عشوائيًّا ويضعه في الخيط، ثم يتناول آخر فآخر حتى ينتهي من وضعها جميعًا؟ بالطبع لا، لكنه سيفحص كل حجرٍ على حدة، ويدرس قيمة كل قطعةٍ من الزمرد والياقوت، وبريق كل ألماسة، ولمعان كل لؤلؤة، ثم سيواصل دراسة الموضع المناسب لكل حجرٍ في تلك القلادة، بحيث يُبرز قيمته الخاصة من خلال علاقته بالأحجار الأخرى.

ونحن لدينا هنا ١٥٠ جوهرة تفوق في قيمتها كثيرًا الجواهر الأرضية. فإنها جواهر ناتجة عن وحي إلهي، وكان لا بد من ترتيبها بنظامٍ دقيق وجيد بحيث تشغل كل جوهرة مكانها الصحيح، لتعبر عن مضمونها في هذا السفر. ومن الذي كان يستطيع القيام بذلك سوى ذلك الشخص الذي يدرك قيمة هذه المزامير ومعانيها! فإن روح اللّه قد جمع هذه المزامير معًا، بواسطة أداته التي اختارها. وبهذا، صار لدينا، في الترتيب الحالي، إعلان إلهي متسلسل ورائع. وتلك هي الحقيقة التي غابت عن كثيرين جدًا من قراء سفر المزامير. ففي العموم، عادة ما نقرأ مزمورًا واحدًا دون الالتفات إلى علاقته بالمزمور الذي يسبقه، أو بالمزامير التي تليه، ودون إدراك أنه ليس سوى حلقة واحدة في سلسلة متصلة. فكما يقود رومية ٦ إلى رومية ٧، الذي يقود بدوره إلى رومية ٨، هكذا الحال مع المزامير. وهنا نكتشف الحكمة الإلهية.

تأتي هذه المزامير في صورة مجموعات، ويجب التعامل معها على أنها مترابطة معًا كي نفهم رسالتها الروحية والنبوية الحقيقية. فعلى سبيل المثال، يُعد المزمور ٢٢ نبوة عن المسيح في آلامه، أو عن الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف. ثم يصفه المزمور ٢٣ بأنه راعي الخراف العظيم، في حين يعلن المزمور ٢٤ أنه رئيس الرعاة الآتي في مجد.

المصطلحات العبرية المتصلة بالمزامير

في بداية العديد من المزامير، نجد كلمةً عبريةً. فعلى سبيل المثال، نقرأ في مزمور ٨ الكلمات التالية: «لِإِمَامِ ٱلْمُغَنِّينَ عَلَى ٱلْجَتِّيَّةِ»، وفي المزمور ١٦ نقرأ الآتي: «مُذَهَّبَةٌ لِدَاوُدَ». وسنعرض فيما يلي، بحسب الترتيب الأبجدي، العناوين العبرية التي لا تزال بعض الترجمات تدرجها، ومعانيها:

• Ayeleth-Shahar، أو «أَيِّلَةِ ٱلصُّبْحِ» (مزمور ٢٢). ويُقصَد بها الضوء المبكر الذي يسبق طلوع الصبح، والذي تشبَّه أشعته الأولى بقرون الغزال (الأيل) اللامعة.

• Alamoth، ومعناها "بصوت فتيات شابات"، أو «ٱلْجَوَابِ» (مزمور ٤٦)

• Al-Tashcheth: ومعناها «لا تُهْلِكْ» (مزمور ٥٧ - ٥٩، ٧٥)

• Eduth: ومعناها "شهادة" (مزمور ٦٠)

• Gittith: أي «ٱلْجَتِّيَّةِ» أو "معصرة الخمر" (مزمور ٨، ٨١، ٨٤)

• Jeduthun: «يَدُوثُونَ» أو "المسبِّح" (مزمور ٣٩، ٦٢، ٧٧)

• Mahalath: «ٱلْعُودِ» أو "مرض" (مزمور ٥٣). كتب ديليتش يقول: "عَلَى «ٱلْعُودِ» تشير إلى نغمة حزينة أو أسلوب حزين"، سواء كانت كلمة Mahalath نفسها اسمًا لمثل هذا النوع من الألحان الرثائية (أوالكئيبة)، أو أنها وُضعت للإشارة إلى الكلمة الأولى من ترنيمة

معروفة. ويمكننا أن نعتبر Mahalath إشارة إلى إيقاع هادئ وبطيء نسبيًّا".

• Mahalath Leannoth: عَلَى «ٱلْعُودِ» لِلْغِنَاءِ وربما معناها "مرض حتى الذل" (مزمور ٨٨)

• Maschil: أي "تعليم" أو «قَصِيدَةٌ» (مزمور ٣٢، ٤٢، ٤٤-٤٥، ٥٢-٥٥، ٧٤، ٧٨، ٨٨، ٨٩، ١٤٢)

• Michtam: «مُذَهَّبَةٌ» أو "منقوش" (مزمور ١٦، ٥٦-٦٠)

• Muth-Labben: «مَوْتِ ٱلِٱبْنِ» (مزمور ٩)

• Neginoth: «ذَوَاتِ ٱلْأَوْتَارِ» أو "نقرات الأوتار" (مزمور ٤، ٦، ٥٤، ٥٥، ٦١، ٦٧، ٧٦)

• Nehiloth: «ذَوَاتِ ٱلنَّفْخِ» أو "الأملاك" (مزمور ٥)

• Sheminith: «ٱلْقَرَارِ» أو "الفرقة الثامنة" أو "على الثمانية" (مزمور ٦، ١٢)

• Shiggaion: «شَجَوِيَّةٌ» أو "هتاف بصوت عالٍ" (مزمور ٧)

• Shoshannim: «ٱلسُّوسَنِّ» (مزمور ٤٥، ٦٩، ٨٠)

• Shoshannim-Eduth: «على ٱلسُّوسَنِّ شهادة» (مزمور ٦٠، ٨٠)

كذلك، ترد كلمة «سلاه» (Selah) ٧١ مرة في سفر المزامير، ومعناها "التوقف قليلاً"، ولها معنى ثانوي آخر، وهو "يرفع". ويمكن اعتبارها

دعـوة لنـا خـلال القـراءة إلى أن نتوقـف ونتأمـل، ثم نرفـع قلوبنـا بالتسـبيح والصلاة.

المزامير وأسفار العهد الجديد

كمـا ذكرنـا سـابقًا، استشـهد روح اللّه بسـفر المـزامير في أسـفار العهـد الجديـد أكثـر مـن أي سـفر آخـر في العهـد القـديم، وهـذا أمـرٌ لـه دلالتـه المهمـة، ويُعـدُّ إشـارةً إلهيـةً إلى الأهميـة البالغـة لهـذه الجـواهر المُـوحَى بهـا. وسـنعرض فيمـا يلـي قائمـةً جزئيـةً بالاقتباسـات والتعبـيرات الـتي وردت في العهد الجديد، مع ما يقابلها في سِفر المزامير:

- متى ٤: ٦ (مزمـور ٩١: ١١-١٢). هـذا الإقتبـاس الأول جـاء علـى فـم إبليس، وقد أظهر فيه معرفته الجيدة بالكلمة ومعناها.
- متى ١٣: ٣٥ (مزمور ٧٨: ٢)
- متى ٢١: ٤٢ (مزمور ١١٨: ٢٢)
- متى ٢٧: ٤٣ (مزمور ٢٢: ٨)
- يوحنا ٢: ١٧ (مزمور ٦٩: ٩)
- يوحنا ٦: ٣١ (مزمور ٧٨: ٢٤-٢٥).
- يوحنا ١٠: ٣٤ (مزمور ٨٢: ٦).
- يوحنا ١٣: ١٨ (مزمور ٤١: ٩).
- يوحنا ١٥: ٢٥ (مزمور ٣٥: ١٩؛ ٦٩: ٤).
- يوحنا ١٩: ٢٤ (مزمور ٢٢: ١٨).

- يوحنا ١٩: ٢٨ (مزمور ٦٩: ٢١).
- يوحنا ١٩: ٣٦ (مزمور ٣٤: ٢٠).
- يوحنا ١٩: ٣٧ (مزمور ٢٢: ١٧).
- أعمال الرسل ١: ١٦ (مزمور ٤١: ٩).
- أعمال الرسل ١: ٢٠ (مزمور ٦٩: ٢٥).
- أعمال الرسل ٢: ٢٥-٢٨ (مزمور ١٦: ٨-١١).
- أعمال الرسل ٢: ٣٤ (مزمور ١١٠: ١).
- أعمال الرسل ٤: ٢٥ (مزمور ٢: ١-٢).
- أعمال الرسل ١٣: ٣٣ (مزمور ٢: ٧).
- أعمال الرسل ١٣: ٣٥ (مزمور ١٦: ١٠).
- رومية ٣: ٤ (مزمور ٥١: ٤).
- رومية ٣: ١٢ (مزمور ١٤: ٢-٣).
- رومية ٣: ١٣ (مزمور ١٤٠: ٣).
- رومية ٤: ٦ (مزمور ٣٢: ١-٢).
- رومية ١١: ٩-١٠ (مزمور ٦٩: ٢٢-٢٣).
- رومية ١٥: ١١ (مزمور ١١٧: ١).
- ٢كورنثوس ٤: ١٣ (مزمور ١١٦: ١٠).
- أفسس ٤: ٨ (مزمور ٦٨: ١٨).
- عبرانيين ١: ٨-٩ (مزمور ٤٥: ٦-٧).

- عبرانيين ١: ١٠-١٢ (مزمور ١٠٢: ٢٥-٢٧).
- عبرانيين ١: ١٣ (مزمور ١١٠: ١).
- عبرانيين ٢: ٦-٨ (مزمور ٨: ٤-٦).
- عبرانيين ٤: ٣ (مزمور ٩٥: ١١).
- عبرانيين ٤: ٧ (مزمور ٩٥: ٧-٨).
- عبرانيين ٥: ٦ (مزمور ١١٠: ٤).
- عبرانيين ٧: ١٧ (مزمور ١١٠: ٤).
- رؤيا ٢: ٢٧ (مزمور ٢: ٩).

هذه ليست بأي حال من الأحوال قائمة شاملة من الإقتباسات، لأنه يوجد الكثير غيرها. لكننا أدرجنا فقط أبرز الاقتباسات. انظر أيضًا:

- مزمور ٢: ٧-٩ في عبرانيين ١: ٥
- مزمور ٤: ٤ في أفسس ٤: ٢٦
- مزمور ٦: ٨ في متى ٧: ٢٣
- مزمور ٨: ٢ في متى ٢١: ١٦
- مزمور ٨: ٦ في ١كورنثوس ١٥: ٢٥-٢٧
- مزمور ٩: ٨ في أعمال الرسل ١٧: ٣١
- مزمور ١٩: ٤ في رومية ١٠: ١٨
- مزمور ٢٢: ١ في متى ٢٧: ٤٦

• مزمور ٢٢: ٢١ في ٢تيموثاوس ٤: ١٧ (طبَّق بولس التصريح المسياني على وضعه وحالته).

• مزمور ٢٤: ١ في ١كورنثوس ١٠: ٢٦

• مزمور ٢٧: ١ في عبرانيين ١٣: ٦

• مزمور ٣٤: ٨ في ١بطرس ٢: ٣

• مزمور ٤٠: ٦-٨ في عبرانيين ١٠: ٥-٧

• مزمور ٤١: ٩ في مرقس ١٤: ١٨ و يوحنا ١٣: ١٨

• مزمور ٤٨: ٢ في متى ٥: ٣٥

• مزمور ٥٠: ١٤ في عبرانيين ١٣: ١٥

• مزمور ٥٥: ٢٢ في ١بطرس ٥: ٧

• مزمور ٥٦: ٤ في عبرانيين ١٣: ٦

• مزمور ٦٩: ٢١ في مرقس ١٥: ٣٦ ويوحنا ١٩: ٢٩

• مزمور ٧٩: ٦ في ٢تسالونيكي ١: ٨

• مزمور ٨٩: ٢٧، ٣٧ في رؤيا ١: ٥؛ ٣: ١٤

• مزمور ٩٧: ٦ في عبرانيين ١: ٦

• مزمور ١٠٤: ٤ في عبرانيين ١: ٧

في المجمل، ما يقرب من ٥٠ مزمورًا قد اقتُبِس سواء في صورة اقتباس مباشر أو غير مباشر أو تلميح في العهد الجديد.

سيكون من المستحيل أن نقدم عرضًا شاملاً للرسالة العظمى المتضمَّنة في سفر المزامير. فلا يمكن سوى لدراسة متعمقة لكل مزمور على حدة أن تُظهِر هذه الرسالة بالكامل. وحتى في هذه الحالة، فربما لا نلامس سوى سطح هذا المنجم الرائع من الحكمة والمعرفة. وما يعلمه جميع قراء هذا السفر هو أن جزءًا من هذه الرسالة يتعلق باختبار المؤمن القديس في العالم – أي ضيقاته، وأحزانه، واضطهاداته، واتكاله على اللّه، واختبار العتق، وغير ذلك الكثير أيضًا. ومع ذلك، ينبغي أن نتذكر أن تلك الإختبارات تخص قديسين من اليهود، أما الاختبار المسيحي الحقيقي فهو أسمى من ذلك!

ففي وسط الإضطهادات على يد الأعداء، يتضرع هؤلاء القديسون اليهود إلى اللّه لكي يبيد أعداءهم، ويحرقهم كالقش (مزمور ٨٣: ١٣). لكن يطالب العهد الجديد القديسين اليوم بأن يحبوا أعداءهم. كذلك، لسنا نجد في هذه الاختبارات معرفة بالخلاص بالصورة التي نراها في تدبير الإنجيل. ففي حين دعا كُتَّاب المزامير الرب، مستخدمين أسماء مختلفة، مثل الصخرة، والحصن، والراعي، والترس، فإننا لا نجد أي استخدام لكلمة "أبي"، ولا نجد أي إعلان عن بنوة القديس للّه، أو أي ذكر للرجاء المبارك في أن يكون معه في بيت الآب.

كذلك، كانت رسالة التسبيح والشكر والتبجيل والعبادة سمةً بارزةً أخرى في سفر المزامير. لكن مرة أخرى، إن العبادة والتسبيح المسيحي الحقيقي أسمى من ذلك. فإننا لا نجد في سفر المزامير بأكمله تسبحةً تضاهي تلك الواردة في أفسس ١: ٣، «مُبَارَكٌ ٱللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوِيَّاتِ فِي ٱلْمَسِيحِ». ومع ذلك، فبفضل نور إعلان الإنجيل الكامل، وسكنى الروح ذاته الذي أوحى بالمزامير، يستطيع المؤمن المسيحي أن يستمد أعذب أشكال التعزية والتشجيع من الاختبارات المدوَّنة في هذه الترانيم.

ومع أن هذا يشكل جزءًا من رسالة سفر المزامير، فإن هذا السفر هو في المقام الأول سفر نبوي. ويمدُّنا العهد الجديد بالسبب الوجيه الذي يجعلنا نقول ذلك، لأن الإقتباسات من سفر المزامير تحمل طابعًا نبويًّا بدرجة كبيرة جدًا. فإن جميع الرسائل النبوية العظيمة التي أعلنها أنبياء اللّه، ورؤاهم المتعلقة بالمستقبل، تُعرَض بصورة رائعة في سفر المزامير، بل إن الكثير من المزامير تشرحها بتفصيل أكبر. فإن النطاق النبوي لسفر المزامير مذهل بالحقيقة. ومع ذلك، نادراً ما يُدرَس هذا السفر على أنه سفر نبوي، إذ لطالما تصدَّرت الدراسة التعبدية والتأملية المشهد.

فما هي إذن الرسالة النبوية لسفر المزامير؟ تتألف نبوات سفر المزامير من الموضوعات الثلاثة التالية:

١. **تتعلق الرسالة النبوية الأولى** بالمسيَّا، واتضاعه ورفعته في المجد. وتزخر المزامير بأقوال نبوية حول هذا الموضوع تفوق في عددها ما ورد بشأن أي موضوع آخر في سفر المزامير، بل وفي سفر إشعياء، وفي أيٍّ من الأسفار النبوية الأخرى.

وكما ذكرنا سابقاً، تتضمن العديد من المزامير تسجيلاً نبويًّا لصلوات ربنا يسوع، إلى جانب تعبيراته عن حزنه وأساه. كما تتكرَّر مرارًا وتكرارًا في سفر المزامير قصة حياته التي عاشها هنا على الأرض في شعور بالوحدة، والكراهية، والرفض من الأمة، والخيانة، وغيرها من ملامح اتضاعه. وبينما كان الكُتَّاب الذين اختارهم اللّه للكتابة يجتازون في خبرات حزن وضيق، كان روح اللّه يرينا فيهم ذاك الذي أمكنه أن يقول: «تَطَلَّعُوا وَانْظُرُوا إِنْ كَانَ حُزْنٌ مِثْلُ حُزْنِي ٱلَّذِي صُنِعَ بِي، ٱلَّذِي أَذَلَّنِي بِهِ ٱلرَّبُّ يَوْمَ حُمُوِّ غَضَبِهِ؟» (مراثي إرميا ١: ١٢).

غير أن تطبيق هذه المزامير على شخص ربنا يسوع يتطلب قدرًا كبيرًا من الحذر. فقد أخطأ بعض المعلمين خطأً فادحًا في هذا الصدد. على سبيل المثال، سمعنا عن معلم للكتاب المقدس يطبق مزمور ٣٨: ٧ في قوله: ''لأَنَّ خَاصِرَتَيَّ قَدِ ٱمْتَلأَتَا ٱحْتِرَاقًا، وَلَيْسَتْ فِي جَسَدِي صِحَّةٌ'' على الرب يسوع. وقال هذا المعلم إن الرب تألم هكذا لأنه حمل في نفسه أسقامنا وأمراضنا. ومثل هذا التعليم يجب أن يُشجَب بشدة، لأنه خاطئ تمامًا. كما لا يجوز أن نضع على لسان ربنا يسوع عبارات

أخرى مشابهة، إذ لم يكن الرب بحاجة إلى الشكوى من الخطايا، لأنه كان بلا خطية. فعلى سبيل المثال، لم يكن الرب يسوع محتاجًا أن يستخدم المزمور ٥١.

أُعلنت آلام الصليب بصورة نبوية في المزمور ٢٢ ومزامير أخرى. كما جرى التنبؤ على نحو رائع، في العديد من المزامير، بالمجد الذي سيعقب ذلك، أي بمُلك المسيح وملكوته. فإن مجيئه الأول في اتضاع لكي يُرفَض ويموت، ومجيئه الثاني لكي يُقبَل ويملك على الأرض، هما الرسالتان النبويتان الأكبر في سفر المزامير. ومن المثير للاهتمام أن نلاحظ الترتيب الذي ترد به المزامير المسيَّاوية الأربعة الكبرى التي نجدها في الكتاب الأول من السفر، والتي يوجه روح اللّه انتباهنا إليها في العهد الجديد.

- المزمور ٢: حيث تُعلن بنوة ربنا يسوع للّه.
- المزمور ٨: إعلان أنه ابن الإنسان.
- المزمور ١٦: هو الشخص الطائع.
- المزمور ٢٢: الإعلان عن طاعته حتى الموت، موت الصليب.
- وقد كان مجده متصلاً بكل مزمور من هذه المزامير.

٢. **الموضوع النبوي الثاني** لسفر المزامير يتعلق بإسرائيل، أي بأحزانها، وضيقاتها، وآلامها، وما ينتظرها من خلاص، واسترداد، وبركة، ومجد. ولسنا نشير بذلك إلى النبوات المختصة بتبدُّدهم الحالي، أو بالضيقات

التي حلّت بالأمة نتيجة لرفضها للمسيح. لكننا نشير إلى الخبرات والتجارب التي سيتعين على بقية تقية من اليهود أن يجتازوا فيها، عندما ينقضي الدهر الحاضر وسط ظلمته وارتداده اللذين سبق التنبؤ بهما.

تحدث إرميا عن هذه الفترة ودعاها "وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ"، قائلاً: «آهِ! لأَنَّ ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ عَظِيمٌ وَلَيْسَ مِثْلُهُ. وَهُوَ وَقْتُ ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ، وَلَكِنَّهُ سَيُخَلَّصُ مِنْهُ» (إرميا ٣٠: ٧). وستظهر تلك البقية عندما يكتمل القصد من التدبير الحاضر، ألا وهو دعوة شعب على اسم الرب (أي الكنيسة). وحينها سترجع بقيةٌ من شعب اللّه الأرضي، مدفوعة بقوة روح اللّه، إلى الرب، ويجتازون ذلك الزمان العصيب من الضيق، الذي دعاه الرب يسوع «ضِيقٌ عَظِيمٌ» (متى ٢٤: ٢١). وسيكون ذلك بالنسبة لهم زمان مخاضٍ وألم، إذ سيقاسون على يد الأمم الشريرة، ويصلُّون طالبين النجاة (انظر إشعياء ٦٣: ١٥-٦٤: ١٢).

تقدم لنا المزامير الصورة الأكثر اكتمالاً لخبراتهم المروِّعة. ففيها نقرأ عن أحزانهم وضيقاتهم، ونسمع صلواتهم وصرخاتهم، قائلين: «إِلَى مَتَى يَارَبُّ... إِلَى مَتَى؟» (مزمور ١٣: ١). فهم يتضرعون إلى الرب لكي يتدخل وينزل ليخلصهم من اضطهاد الأمم المحيطة بهم. والأرض، التي كانت قد استُعيدت جزئيًّا، ستتعرض للغزو من جديد. ثم نقرأ في المزامير، مثل المزمورين ١٠، ٥٥، عن شخص شرير يتسلط عليهم

وينقض العهد. وهذا هو «إنسان الخطية»، أي ضد المسيح الذي سيأتي في النهاية. وبينما هم يتضرعون طلبًا للخلاص، سيصرخون إلى اللّه طالبين الانتقام من أعدائهم وأعدائه بحسب بره وعدله. وهذا يفسر تمامًا المزامير التي تُعرَف باسم "صلوات اللعنة" المنتشرة عبر هذا السفر.

وفجأةً، يتغير المشهد، إذ تُستجاب صلواتهم، وتنفتح السماء، ويأتي ثانيةً الملك الذي طال انتظاره، فتُمسح دموعهم، ويتحول نوحهم إلى أغانٍ، ويتبدل أنينهم إلى ضحكات. فهم سيُنقَذون، وينالون البركة بصفتهم شعبه، فتتبارك أرضهم، ويصيرون هم أنفسهم قناة للبركة والرحمة لأمم الأرض. ياله من مشهدٌ مثير ومذهل.

٣. يُبرز الموضوع النبوي الثالث الأمجاد المستقبلية المُذخَّرة لشعب اللّه المفدي، ولأمم الأرض، وللخليقة نفسها. بتعبير آخر، نحن أمام نبوات متصلة بالملكوت الآتي. وإن التعليم النبوي الوارد في سفر المزامير يدحض تمامًا الرأي بعد الألفي، القائل إن المسيح لن يأتي ثانية إلا بعد فترة ألف سنة من السلام والبر. فهذه النبوات تبيِّن بشكل قاطع أنه يستحيل أن تتحقق أي بركة لإسرائيل، أو للأمم، أو للأرض، أو أن يأتي أي سلام أو ازدهار، أو أي رجوع للعالم بأسره، إلا بعد مجيء الملك ثانيةً. ويُختتم سفر المزامير بهتافات الهللويا المدوية، أي بتلك النهاية المجيدة التي فيها ستتغنى السماء والأرض بتسبيحه.

تقسيم سفر المزامير

تتوافق أقسام سفر المزامير الخمسة بطريقة مذهلة ولافتة للنظر مع الأسفار الخمسة التي يُفتتح بها الكتاب المقدس، أي أسفار موسى الخمسة. وكان هذا الأمر معروفًا لدى اليهود القدامى، حيث أطلقوا على سفر المزامير اسم "أسفار داود الخمسة". وقد ورد النص التالي في التعليق الأرامي من الميدراش على المزمور ١: ١، "أعطى موسى بني إسرائيل أسفار الشريعة الخمسة، وفي تكافؤ مع ذلك، أعطاهم داود "كتب المزامير الخمسة".

١. القسم المتوافق مع سفر التكوين: المزامير ١-٤١

يحمل هذا القسم طابعًا مطابقًا لسفر التكوين، لأنه يذكر الكثير عن الإنسان. فإننا نجد أولاً تضادًا بين البار والشرير، ثم نجد تضادًا بين الإنسان الأول، آدم، والإنسان الثاني، يسوع المسيح، الذي وُضِعَ قليلاً عن الملائكة (مزمور ٨). ونجد هنا أيضًا وصفًا للشخص الشرير، الذي سيشكل ذروة تمرد الأشرار في المستقبل. وإنسان الخطية هذا، أي ضد المسيح، مشار إليه في المزمورين ٩، ١٠، بينما تتناول المزامير التي تعقبهما موضوع الضيقة العتيدة أن تأتي على الإنسان. وفي المزامير ١٦-٤١، تتجلى شخصية المسيح، آدم الأخير، في طاعته حتى موت الصليب، وعمله الخلاصي، ومجده، ثم يُختتم الكتاب الأول ببركةٍ ختامية، ثم «آمين» مزدوجة.

٢. القسم المتوافق مع سفر الخروج: المزامير ٤٢-٧٢

كما في سفر الخروج، الذي يروي قصة فداء اللّه لشعبه بالدم وبقدرته، نرى في الكتاب الثاني من سفر المزامير شعبًا يئن ويتوجع. تشير المزامير الافتتاحية إلى شعب مضطهد ومقموع يتوق إلى اللّه. وهم يمثلون البقية التقية من اليهود. ثم نجد بعد ذلك استجابة صلواتهم بمجيء الملك (المزمور ٤٥). وبعد ذلك، يتحقق الفداء بقوة. ثم في بعض المزامير، تنكشف بركات الملكوت، التي ستتحقق عند مجيء المسيح ثانية. ويُقدِّم المزمور ٧٢، الذي يختتم هذا الكتاب الثاني، صورةً لُملك المسيح ومجده الملوكي. ويُختتم هذا القسم أيضًا بآمين مزدوجة، وبالجملة التي تتناسب تمامًا مع مضمون هذا الكتاب: «وَلْتَمْتَلِئِ ٱلأَرْضُ كُلُّهَا مِنْ مَجْدِهِ» (٧٢: ١٩). وعلى غرار ذلك، يُختتم سفر الخروج بمجد الرب وهو يملأ خيمة الاجتماع (خروج ٤٠: ٣٤-٣٥).

٣. القسم المتوافق مع سفر اللاويين: المزامير ٧٣-٨٩

هذا القسم هو الأقصر. فإن محور سفر اللاويين هو "القداسة أمام الرب". وفي هذا القسم من المزامير، يُؤتَى بنا إلى داخل المقدس، ونعاين قداسة الرب في تعامله مع شعبه. ويضم هذا الكتاب مزامير آساف، ولا يخلو كل مزمور منها تقريبًا من أفكار تتعلق بالمقدس، والجماعة، وصهيون، والاقتراب إلى الرب. كما يُختتم هذا الكتاب أيضًا ببركة و"آمين" مكررة مرتين.

٤. القسم المتوافق مع سفر العدد: المزامير ٩٠-١٠٦

كُتِب المزمور الأول من هذا القسم على يد موسى، على الأرجح عندما كان يشهد موت الشعب في البرية (انظر العدد ٢٦: ٦٤-٦٥). ويظهر الإنسان الثاني في المزمور ٩١. ويحوي هذا الكتاب المزامير النبوية التي تُوضح أن أزمنة الاضطراب والتيه ستنتهي عندما يملك الرب وتسجد له الأمم. ولن توجد راحة ولا سلام حتى ذلك الحين. ويُختتم هذا القسم بكلمتي «آمين» و«هللويا».

٥. القسم المطابق لسفر التثنية: المزامير ١٠٧-١٥٠

في هذا القسم، كما في سفر التثنية، يُعظَّم من شأن كلمة اللّه. وقد اقتبس الرب يسوع المسيح من سفر التثنية بصورة حصرية في صراعه مع إبليس (متى ٤: ١-١١). وفي بداية هذا الكتاب من سفر المزامير، يُرَى المسيح بصفته الكلمة الحية، ثم مرة أخرى، تعرض مجموعة أخرى من المزامير (١٠٩-١١٣) أحداث رفضه وتمجيده ومجيئه ثانية، وما يعقب ذلك من أزمنة التسبيح والهللويا. ثم تعقب ذلك مرحلة الانقضاء، والخلاص، ومقاصد اللّه النهائية، وتسبيحه ومجده. ويُختتم هذا القسم بخمسة مزامير "هللويا"، ونرى فيها جوقة التسبيح التي تحتفي باكتمال الفداء: «كُلُّ نَسَمَةٍ فَلْتُسَبِّحِ ٱلرَّبَّ. هَلِّلُويَا» (١٥٠: ٦).



أفراح الخلاص

لا يمكن لشخص مستعبَد أن يفرح ويرنم! هكذا كان حال شعب اللّه القديم في مصر وهم في العبودية.. لكن بعد أن نالوا الخلاص وخرجوا من مصر ترنموا بفرح «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي .. هذا إلهي فأمجده .. إله أبي فأرفعه» (خروج ١٥).

وعندما سُبي الشعب في بابل علّقوا أعواد ترنيماتهم على الصفصاف. وعندما طُلب منهم الترنيم وقتها أجابوا: «كيف نرنم ترنيمات الرب في أرض غريبة؟!» (مزمور ١٣٧: ٤).

ولكن عندما خلصوا من السبي ورجعوا هتفوا مرنمين «عندما رد الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين .. حينئذٍ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنماً» (مزمور ١٢٦: ١).

وهكذا الحال معنا جميعًا قارئي العزيز .. فطالما كان المرء مستَعبَداً للخطية أو لإبليس فمستحيل أن نفرح أو نرنم. لكن عندما نأتي إلى المسيح؛ المخلّص الوحيد؛ بالتوبة والإيمان، ننال الغفران، ويبدأ الفرح ولا ينتهي!



دراسات
مسلسلة

ف. ب. ماير



مختبيء ولكنه منير

(إرميا ص٣٦: ٢٦)

«بل أمر الملك يرحمئيل ابن الملك وسرايا بن عزرئيل وشلميا بن عبدئيل أن يقبضوا علي باروخ الكاتب وإرميا النبي ولكن الرب خبأهم»

بعد أن مزق يهوياقيم درج النبي بكل استهتار، وهكذا رفض ما تضمنه من إنذارات ونصائح، وبعد أن هدد عبيد اللّه الأمناء بالموت أصبح واضحًا أنه لا يُرجى أي خبر من أن يتقدم إليه إرميا بأية رسالة أخرى، وهكذا خفت صوته في المدة الباقية من حكم هذا الملك الشرير.

هذا أحد مباديء سياسة اللّه في كل الأجيال، أنه إن استخف بصوت اللّه كفّ عن التحدُّث، والذين لا يستحسنون أن يبقوا « وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللّهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللّهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ» (رو١: ٢٨) الخ

هذا يذكرنا بتلك الكلمات الرهيبة التي ختمت بها حياة أول ملوك إسرائيل «وَلَمْ يَعُدْ صَمُوئِيلُ لِرُؤْيَةِ شَاوُلَ إِلَى يَوْمِ مَوْتِهِ» ١صم١٥: ٣٥) بل بتلك الكلمات التي لا تقل رهبة وروعة، التي تحدث بها رسول المحبة «تُوجَدُ خَطِيَّةٌ لِلْمَوْتِ. لَيْسَ لأَجْلِ هذِهِ أَقُولُ أَنْ يُطْلَبَ»(١يو٥: ١٦).

في ذلك الوقت لم يشأ إرميا أن تطأ قدماه قصر يهوياقيم الجديد الفخم الذي كانت غرفه الفسيحة مسقوفة بأرز لبنان، وجدرانه مزدانة بأبهى الألوان وأبدع النقوش، مع أنه لو دخله في ذلك الوقت لأنقذ البلاد من الخطر، كما يدخل المرشد الماهر السفينة التي يتولى قيادتها ربان جاهل فينقذها من الخطر الداهم.

قد يخدع الأنبياء الكذبة كلا من الملك والشعب بنبواتهم المضللة، وقد يتقدم المتشيعون للسياسة المصرية للملك باقتراح محالفة فرعون كأضمن علاج للمشاكل التي تكتنفه أما صوت إرميا فقد خمد أثناء كل تلك الأيام المظلمة المليئة بالمتاعب والمشاكل التي خلت في الفترة بين ذلك المنظر في قصر الملك والوقت الذي فيه طُرحت جثة يهوياقيم، دون أن تُدفن إذ مات غير مأسوف عليه. وماذا كانت حال النبي في تلك السنوات الخطيرة وماذا كان يشغل تفكيره؟

١. لقد خبأه الرب:

لا نستطيع أن ندرك على وجه التحديد التام معنى هذه الكلمات، هل أخذه، في حمايته ورعايته، أخيقام الذي سبق أن توسط لإنقاذه، أو ابناه وهما: جمريا الذي سبق أن قدم اليه مخدعه في الهيكل لقراءة درجه، وجدليا الذي صار واليًا ليهوذا بعد إقصاء صدقيا؟ أم كانت هذه التخبئة أمرًا الهيًا؟ وعلى أي حال فسواء كانت مباشرة أم غير مباشرة فإن إرميا كان مختبئًا في ستر القدير من مكايد الناس، مختفيًا في مظلة من مخاصمة الألسن(مز٣١: ٢٢) في

مخاوفه الأولى صـــرخ قائلاً «إِنِّي قَدِ انْقَطَعْتُ مِنْ قُدَّامِ عَيْنَيْكَ» (مز٣١: ٢٢) وعلى أي حال فقد سمع اللّه صوت تضرعاته ، وحفظ عبده الأمين.

إننا جميعًا في حاجة إلى هذه التخبئة الإلهية، يجب علينا إطاعة الصـــوت الذي يناديا كما نادى إيليا «انْطَلِقْ مِنْ هُنَا وَاتَّجِهْ نَحْوَ الْمَشْـــرِقِ، وَاخْتَبِئْ». إننا عظماء في أعين أنفســـنا مغرورون في ذواتنا، ظلّنا يتقدمنا، نراه واضـــحًا كل الوضـــوح على الرمال، وكل ما نحتاجه هو أن نتطلع نحو الشـــمس فلا تتثبت عيوننا في ظلنّا، وقد يسمح اللّه أحيانًا أن يخبئنا في غرفة المرض في وادي الظلال، في نقرة الصـــخر، قد يدعونا للذهاب إلى صـــرفة أو جبل الكرمل، أو إلى زوايا النســـيان، أو وحشـــة العزلة، والنور الحقيقي لا يضـــيئ قلوبنا، وقوة الحياة الحقيقية لا تنبعث من تصرفاتنا، إلا حينما نختبيء النفس في ظلمة القبر.

كثيرًا ما اختبأت شـخصـية ضـعيفة جبانة في شـخصـية أقوى اتصـلت بها اتصـــالاً وثيقًا، وذلك لكي تقف ثابتة لا تتزعزع إزاء كل الحملات التي توجه نحوها، إزاء التعيير والتشـــهير والتصـــرفات الضـــارة، لذلك فعندما تكون كل عواطفنا بل كل شخصياتنا، متجهة نحو اللّه، عندما نقنع بابتسامته كأعظم جزاء لنا، عندما لا نطمع في شـــيء في الوجود إلا في إرضـــائه فحينئذ نكون مختبئين في حصـــنه الحصـــين، ومن مخبئنا الأمين الذي ننعم فيه بمجد نوره العظيم نتطلع بثبات إلى الشـــرور المزعجه وهي تجوز بجوارنا دون أن تجترئ على الإقتراب منا.

قد يتم أيضـــًا هذا الإختباء بالمعنى الحرفي، أيها الذين قد مســـتهم نيران التجارب، قِيل أنه حدث مرة أنْ سَـــعى بعض الجنود، وجَدُّوا في البحث عن بعض أولاد اللّه الأمناء في جبال اسكتلندا، اجتمعت جماعة قليلة من هؤلاء المؤمنين للصـــلاة على أحد قمم الجبال، وكادت تقع في أيدي الجنود، لولا ســـحابة كثيفة استقرت فجأة فوقهم وخبأتهم فعلاً عن أعين أعدائهم.

هكذا لا يزال ابن اللّه يتدخل لحماية خاصته، فعش له وحده، كن سهمًا مبريًا مختبئًا في ظل يده وفي كنانته مختفيًا (اش٤٩: ٢). اِثبت فيه، اِصغ إليه فإنيه يقول لك كما قال داود لأبياثار « أَقِمْ مَعِي. لاَ تَخَفْ، لأَنَّ الَّذِي يَطْلُبُ نَفْسِي يَطْلُبُ نَفْسَكَ، وَلكِنَّكَ عِنْدِي مَحْفُوظٌ» (١صم٢٢: ٢٣)».

٢. واعاد كتابة نبواته:

لعل الوصية الإلهية المدوَّنة في بداية الإصحاح الثلاثين تشير إلى هذه الفترة «هكَذَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ قَائِلاً: اكْتُبْ كُلَّ الْكَلاَمِ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَيْكَ فِي سفره» والأرجح أن باروخ استمر يعمل معه كسكرتير خاص وتلميذ أمين، وهو على الأقل كان ضمن الذين خبأتهم العناية الإلهية على وجه التحديد (ص٣٦: ٢٦- ٣٢) وقد كلفه ذلك تضحية الكثير من مشروعاته وأعماله المالية، لقد كان من أسرة عريقة، فقد كان أخًا لسرايا الذي كان يشغل مركزًا ساميًا في حاشية الملك صدقيا وكان يطمع في أن يكون واحدًا من ملازميه «وَأَنْتَ فَهَلْ تَطْلُبُ لِنَفْسِكَ أُمُورًا عَظِيمَةً؟ » (ص٤٥: ٥)، على أنه ارتضى بأن يقبل المحنة والآلام التي جرتها عليه صداقته لإرميا، وذلك بعد أن أُعلنت إليه رؤيا خاصة أكدت له حدوث انقلاب سريع في الدولة وأن نتيجته العامة أنه سينجو بحياته (ص٤٥) .

استطاع إرميا - بمعونة هذا الصديق المخلص الأمين- أن يجمع النبوات التي سبق أن نطق بها في مناسبات مختلفة ويرتبها، وبنوع خاص تلك النبوات التي تنبأ بها في السنة الرابعة من ملك يهوياقيم عن الأمم المجاورة، لقد كانت إليه كلمة الرب عن الفلسطينيين، وموآب، وبني عمون، وآدوم، عن دمشق وقيدار، وهنا يقف دارس الكتاب ليتأمل بتدقيق في تلك الفقرات العجيبة التي تتنبأ عن مصير تلك الأمم بسبب غزوات نبوخذنصر المخربة، قال إرميا مخاطبًا

هذا الملك العظيم بإسم الرب «أَنْتَ لِي فَأْسٌ وَأَدَوَاتُ حَرْبٍ. فَأُسَحِّقُ بِكَ الأُمَمَ، وَأُهْلِكُ بِكَ الْمَمَالِكَ.»، (ص٥١: ٢٠). انظر أيضًا (ص٤٧ - ص٤٩: ٣٣).

إذًا فإن هذا الوقت الذي قضاه إرميا في العزلة لم يكن خسارة للعالم، بل كان مثمرًا، بل كثرة الثمر كحبس يوحنا بنيان في سجن بدفورد، ومدام جويون في سجن الباستيل، إذ خيم الليل على بلاده. كان يعمل في الخفاء لإشعال نور النبوة الحقيقي، ليبسط أشعته على مياه الزمن المظلمة «إِلَى أَنْ يَنْفَجِرَ النَّهَارُ، وَيَطْلَعَ كَوْكَبُ الصُّبْحِ» في الأفق في الشرق.

سلّم كل طبيعتك للّه، وثق بأنه يستطيع أن يجعل كل ما فيها مثمرًا، بل كل ثانية من سني العمر مخصبة، فتكون كحديقة غناء عرف صاحبها الماهر كيف يجعل كل شبر فيها مثمرًا.

٣. وزار بابل زيارة مزدوجة:

الأرجح ان هذه الفترة من حياة إرميا تشير إليها حادثة المنطقة الكتانية لأن الحديث الذي يدول حولها تم خلال حكم يوياقيم الذي لم يدم أكثر من ثلاثة شهور، وهذه مدة أقصر من أن تكفي لرحة طويلة تقتضيها المهمة التي وضعت لى كاهله (ص١٣ وخاصة ١٨).

كان الإسرائيليون حريصين كل الحرص على مراعاة النظافة، خصوصًا نظافة الكتان، لذلك كان ملفتًا لأنظار الجميع أن يشتري إرميا مِنطَقة جديدة من كتان ويلبسها دون غسلها، وعندما اتسخت أخذها – إطاعة لأمر اللّه – إلى نهر الفرات وهناك طمرها في شق صخر.

يظن البعض أن هذا وصف لرؤيا رآها، أو أن المقصود مكان أقرب من نهر الفرات الذي يبعد نحو مائتين وخمسن ميلاً، ولكن ليس هنالك ما يبرر مناقشة التفسير الحرفي الذي فسر به إرميا هذه العبارة، فإنه لم يكن هنالك سبب

خاص يدعو لوجوده في أورشليم. بل كان الأمر بالعكس، ثم إن الوقت لم يكن له قيمة بالنسبة للتأثير الذي كان منتظرًا. وعلاوة على هذا فقد تمت فوائد جزيلة من إلمامه بأحوال المسبيين في بابل، وبسير الحوادث هناك، وفي نبواته التي تبنأ بها فيما بعد عن سقوط بابل نجد وصفًا لبعض التفاصيل الدقيقة جدًا التي لا يمكن لأي شخص وصفها إلا إذا كان قد رآها بنفسه.

وبعد عودته من بابل انقضت "أيام كثيرة" والواقع أن رحلته الثانية لإعادة المنطقة التي فسدت قد رتبتها العنايه الإلهيه في الوقت الملائم، ليكون متغيبًا عن المدينة في أيام بهوياقيم الأخيرة الأليمة، ثم يعود في بداية أيام حكم يهوياكين القصيرة.

على أن تلك المِنطَقة الكِتَّانية التي فسدت والتي رفعها إرميا أمام عيون شعبه، كانت تتحدث عن تاريخها المحزِن الأليم. لقد كان يهوذا وأورشليم للرب «اسمًا وفخرًا ومجدًا» وكان يريدهم أن يلتصقوا به «ولكنهم لم يسمعوا» وساروا وراء آلهة أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها (ص١٣: ١٠، ١١) لذلك قُضِي عليهم أن يُنْبَذُوا، لأنهم أصبحوا لا قيمة لهم، عديمي المنفعة كتلك المنطقة.

إن هذه الرحلة المزدوجة التي تقطع فيها نحو ألف ميل سيرًا على الأقدام تعلمنا درسًا جوهريًا هو أن أي مجهود شاق نبذله يجب أن لا يُعتبر بأنه مغالى فيه أو زائد عنن الحد المعقول، إن كنا نقضيه في سبيل إتمام مهمة أرسلنا اللّه اليها لقد سبق أن دُعي إرميا قبل ذلك بوقت طويل، حينما كان ولدًا لإتمام رسالة اللّه (ص١: ١٧) اذًا فلم يكن له أن يشكو إن كانت هنالك رسالة خاصة تطوح به بعيدًا ، أو تقتضي أن يجوب الصحاري بشمسها المحرقة في النهار، ولا يجد في الليل ما يفترشه إلا الرمال الباردة، وما يلتحف به إلا ندى السماء.

عندما يأمرنا المسيح بأن نذهب الى كل العالم فإنه يعني ما يقول، ويجب أن لا نعتذر قدامه بسبب طول المسافة أو مشقات الطريق إن كان يأمر أي واحد

قائلاً «قُمِ انْطَلِقْ إِلَى الْفُرَاتِ» ففي هذا كل الكفاية، وحينما نتأكد من الصوت يجب أن نقتدي بالنبي الذي قال ببساطة حلوة «فَانْطَلَقْتُ إِلَى الْفُرَاتِ»

٤. ثم أُعلنت له رؤى عن العهد الجديد:

المرجَّح جدًا إن إرميا في فترة عزلته هذه انفتحت عيناه ليرى حقًا روحيًا من أجل حقائق العهد الجديد، وكانت هذه الرؤيا أسمى ما أُعلن في عصره، لم تكن هذه آخر المرات التي فيها أُغلقت الأعين الجسدية لكي ترى، والتي فيها حجب عنها نور هذا العالم لكي ترى النور الذي لم تره الأرض أو البحار، ألم يكن ملتون الضرير هو الذي كتب أروع قطعة أدبية عن فقد الفردوس واستعادته؟.

والآن لنتأمل في القصيدة الخالدة التي دونها إرميا في أصحاحي٣٠، ٣١ والتي تتركب من سبعة أبيات، لم يعُد تفكيره محصورًا في يهوذا فقط، ولكنه بدأ يفكر أيضًا في إسرائيل أو "أفرايم" الذي سبق أن سُبى إلى نينوى منذ مائة وسبعين عامًا، على أن قلبه اغتبط إذ رأى عن بعد عودة كل الشعب من أرض الشمال بعد أن محصته الآلام فصارت له الحياة الأكثر نقاءً ونبلاً.

ما أكثر الدروس التي نستطيع أن نتلقاها من هذه القصيدة الرائعة، ولكن لنقتصر على أن نقتطف منها عبارات بسيطة ونضعها أمام القاريء ليرى بنفسه ما تحمله من معان عميقة:

«يا يعقوب عبدي لا تخف .. ولا ترتعب يا إسرائيل .. لأني هأنذا أخلصك من بعيد

ونسلك من أرض سبيه .. لأني أرفدك واشفيك من جروحك يقول الرب .. محبة أبدية أحببتك .. سأبنيك بعد فتُبنين يا عذراء إسرائيل تتزينين بعد بدفوفك

وتخرجين في رقص اللاعبين .. ويشبع شعبي من جودي يقول الرب».

وإذ انتعشت روح إرميا بهذه الكلمات التي نطق بها بروح النبوة فليس عجيبًا إن كان قد اختبر لذة الفرح العميق الذي تشعر به النفس إذ تدرك – بين

اليقظة والنوم – أن أسمى رغباتها وأبعد آمالها قد تحققت، «عَلَى ذلِكَ اسْتَيْقَظْتُ وَنَظَرْتُ وَلَذَّ لِي نَوْمِي» (ص٣١: ٢٦)

على أنه كانت هنالك رؤيا أمجد تنتظره، إن وصايا موسى المرعبة، وطقوس الهيكل المختلفة، ونصائح سفر التثنية، التي زادها تأكيدًا الكثيرون من الأنبياء المعاصرين – هذه كلها لم تفلح في صد الشعب عن الإرتداد والعصيان. لم يكن هنالك أقل أمل في أن المستقبل البعيد لا يُعيد مآسي الماضي، ولكن اللّه الذي أمر أن يُشرق النور من الظلمة أضاء قلب عبده، وكشف اليه مجد العهد الجديد الذي كان ينبغي أن يُختم بدم الصليب «الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي» كما عبَّر عنه المسيح. العهد الذي لا يتوقف بعد على «افعل هذا» أو «لا تفعل هذا»، بل الذي يتلألأ بوعد اللّه «أني سأفعل» الذي يكرره سبع مرات (ص٣١: ٣١– ٣٤؛ لو٢٢: ٢٠؛ عب٨: ٧- ١٢).

كانت الرؤيا التي سطع نورها في قلب إرميا، والتي تتحقق في المسيح لكل الذين يؤمنون به هي هذه:

١- أن ناموس اللّه يجب ان لا يبقى في الخارج كوصية، بل في الداخل، كأنه امتزج بنفس القلب والإرادة.

٢- أن الديانة يجب أن تُحصر مبدئيًا في علاقة اللّه بأولاده أكثر مما تحصر في تصرفات وأقوال أولاده نحوه.

٣-أن لنا قدومًا الى اللّه مباشرة

٤- أن الخطية تُغفر مغفرة تامة كأنها لم تُرتكب، هذا العهد المبارك سوف يجمع إسرائيل تحت لواءه مهما كانت الظروف والأحوال.

هذا هو السؤال الخطير الذي يجب أن نوجهه لأنفسنا إلى أي مدى قد تحقق هذا العهد في اختباراتنا. أن الحياة التي يقدمها تستهوي قلوبنا، وفي بعض الأحيان

يخيل إلينا أن أحشاءنا وقلوبنا تحمل نقوشه وأقواله كما كان لوحا الشريعة يحملان الوصايا العشر، ولكننا نرى فجأة أن خطايا الطمع والحسد والكبرياء والغضب داهمتنا، كأن بالوعة قد فُتِحت فصبت أقذارها على أرض رخامية في غاية النظافة والجمال.

مثل هذه الإختبارات تربكنا، ولكنها يجب أن لا تيئسنا إنها على الأرجح تبين، ليس بأن اللّه لم يبدأ عمله المبارك، بل بأننا قد تحولنا عنه وقتيًا لنجرب مجهودنا الشخصي، أو لنفتخر بما قد تم، كلما منحنا الرب رؤيا سماوية عن بعض الإمكانيات – التي تلوح لنا من بعيد – في دائرة الحياة الروحية، كما حركت الأحلام عن عالم جديد عبر المحيط البحارة الإنجليز للإقلاع بسفنهم أيام الملكة اليصابات، كانت هذه علامة إيجابية أكيدة بأنه قد حان الوقت الذي فيه صار اللّه مستعدًا لتحقيق هذه الرؤيا لنا، لأنه هو الذي أرشدنا بأن نتوق إليها.

وكلما قال المسيح لنا «إني قد ظهرت لك» أردف القول «لكي أجعلك...» إن أبانا السماوي لن يبعث في نفوسنا اليأس بأي وعد لا يكون هو مستعدًا لإتمامه، أو بأي رجاء لا يكون مستعدًا لتحقيقه، فلنرجع اليه، لنفتح قلوبنا واثقين وأحشاءنا ليده المقتدرة. لننتظره بتواضع ووداعة حتى يعلن إلينا أسراره، لنؤمن بأنه يفعل هذا الآن، لنعتمد عليه واثقين أنه يتمم الرؤيا ويجعلها واضحة جلية.

وهكذا نعرف اللّه، أما الماضي الميت فإنه يدفن موتاه، وستُطرح عنا على الشاطئ خطايا وآثام الماضي، كجثث المصريين الذين تخلّص منهم إسرائيل، وحينئذ ترقص قلوبنا طربًا، ويتحول حزننا إلى فرح، وتصير نفوسنا كجنة ريا. ويعزينا اللّه، ويفرحنا من حزننا ويعيننا على أن نحصد بالفرح ما زرعناه بالدموع (ص٣١: ١٠- ١٤).

تأملات هادئة

الساكن في السموات يضحك





في مزمور ٢ المسيَّاوي، الذي يحدثنا عن أكبر مؤامرة شيطانية ضد المسيح في المحاكمات والصلب؛ حيث ارتجت الأمم وتفكَّر الشعوب في الباطل وتآمر الرؤساء على الرب وعلى مسيحه، بالقتل، وهو ما تم حرفيًا عند الصليب؛ حيث تآمر رجال الدين مع رجال السياسة والحكم والرومان وو..إلخ ضد المسيح ليحكموا عليه – ظُلماً – بالموت صلبًا، إلا أنه ماذا كان رد السما؟؟ «الساكن في السموات يضحك! الرب يستهزئ بهم!» (مز ٢: ٤). فالحقيقة أن ساكن السماء لا يسير بردود الأفعال؛ بل هو صانعها!! فهذه هي مشيئة اللّه المحتومة وعلمه السابق (أع ٢: ٢٣) وما كان كل هؤلاء ومن ورائهم الشيطان سوى أدوات «أيدي أثمة» أتمت مشيئة اللّه ومشورته لاحقًا كلٌ في دوره.

ليتنا على الدوام نتذكر – وخصوصاً في أيام انقلاب الأعمدة وارتجاج الأمم – أن الرب هو صانع الأحداث، وهو الساكن في السموات، وهو المسيطر على كل الأمور، وهو سيدنا وحبيبنا وعريسنا، ومَنْ معه أمرنا! فلنضحك معه .. ومع التي ضحكت في يومها حتى على الزمن الآتي وهي لم تراه بعد. (أم ٣١: ٢٥).



من ضمن العديد من مجموعات المزامير المتميزة التي يحتويها سفر المزامير، مايُسَمَّى "المزامير الطوباوية". وهي المزامير التي تبدأ بكلمة «طوبى». وتعني "بالغبطة .. بالسعادة" وعددها (٥) مزامير بالترتيب الآتي:

١. المزمور الأول: طوبى للرجل الذي ...

٢. المزمور ٣٢: طوبى للذي غُفِر إثمه وسُتِرَت خطيته

٣. المزمور ٤١: طوبى للذي ينظر إلى المسكين

٤. المزمور ١١٩: طوبى للكاملين طريقًا السالكين في شريعة الرب

٥. المزمور ١٢٨: طوبى لكل مَن يتقي الرب ويسلك في طرقه.

وبربطها معاً نجد قصة السعادة الحقيقية كالآتي:

إن مَنْ يتأمل أفراح المسيح في حياته الكاملة (مز ١) ويأتي إليه كالمخلص الوحيد ينال غفران خطاياه (مز ٣٢)، ويعيش في ظل الصليب والمصلوب (مز ٤١) سعيداً متأملاً ودارساً لشريعة الرب (كلمة اللّه – مز ١١٩) فيستطيع عملياً أن يختبر أفراح التقوى ومخافة الرب فردياً وعائليًا مع كل أفراد أسرته (مز ١٢٨).

- رغم أن سفر المزامير كُتب قبل تجسُّد المسيح، ويحمل طابع العهد القديم، إلا أنه نافع لنا جداً.
- يتطابق سفر المزامير باجزائه الخمسة تماماً مع أسفار موسى الخمسة (التوراة) وبنفس الترتيب.
- سفر المزامير يجسد كل جوانب الحياة، ويعبر عن مختلف المشاعر، ويكافيء كل ثقة في الله.
- ترتيب المزامير هي بوحي من الله، مثل الإشارة إلى المزمور الثاني (أع ١٣: ٣٣).
- الرب يسوع ظاهر بوضوح في سفر المزامير، كما أنه كثيرًا ما اقتبس منه له المجد.
- عناوين المزامير، وذكر العديد من الآلات المستخدمة (حوالي ١٧ عنوان) لها مدلول روحي عميق.
- لا ترنيمة قلبي حقيقي بالإنفصال عن الخلاص والمخلص الوحيد، الرب يسوع